عن مروكا داوس كا لجا لجا

المجلد الثامن من احيا العلوم ١٧

الثالث من كتاب احياء علوم الدين

تأليف الشيخ الإمام
العالم العامل العلامة حجة الإسلام محجة الأنام
أبي حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي الطوسي رحمه الله

٩٦٣

كتاب الفقر والزهد وهو الرابع من ربع
المنجيات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي يسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتندك من هيبته
الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته
باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات
الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والاصال ثم كحل
بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه
حضرة الجلال فلاح له من البهجة والبها والكمال ما استقبح دون
مبادي اشراقه كل حسن وجمال واستثقل ما صرفه عن مشاهدته
وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة
امراة جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء
عجنت من طينة الخزي تصورت في قالب النكال وتلفعت بجلبابها
لتخفي قبايح اسرارها بلطايف السحر والاحتيال وقد نصبت حبايلها
في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تجري
معهم الا بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال
بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلايا والانكال فلما
انكشف للعارفين منها قبايح الاسرار والافعال زهدوا فيها
زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال واقبلوا
بكنه هممهم على حضرة الجلال وايقنوا منها بوصال ليس له انفصال
ومشاهدة ابدية لا تعتريها فنا ولا زوال والصلاة على محمد
سيد الانبيا وعلى آله خير آل اما بعد فان الدنيا عدوة لله
عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا
والسيئات وبغضها ام الطاعات وراس القربات وقد
استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا
من ربع المهلكات ونحن الان نذكر فضل البغض لها والزهد فيها
فانه راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا
والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوائها عن العبد
ويسمى ذلك فقرا واما بانزوا العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل
واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز
والنجاة ونحن الان نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما
واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب
والزهد في شطر آخر منه ونبدا بذكر الفقر

الشطر الاول

من الكتاب في الفقر وفيه بيان الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا

وبيان فضيلة خصوص الفقرا وبيان فضل الفقر على الغنى وبيان
ادب الفقير في فقره وبيان ادبه في قبول العطا وبيان تحريم
السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان
احوال السايلين **بيان** حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير واساميه
اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة
اليه لا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه
لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى
الله فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال
ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فان كان في الوجود
موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولا
يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غنى
واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى
هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغنى وانتم الفقراء
هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل
الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف
حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل
اليه بالمال وهو الذي نريد الان بيانه المفقود محتاجا اليه في حقه

ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقد ونحن نميزها
ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها **الحالة**
الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب
من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم
صاحبه الزاهد **الثانية** ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح
بحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب
هذه الحالة يسمى راضيا **الثالثة** ان يكون وجود المال احب اليه
من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه
بل ان اتاه عفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم
يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه
بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة **الرابعة**
ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا
الى طلبه ولو بالتعب لطلبه وهو مشغول بالطلب وصاحب هذه
الحالة نسميه الحريص **الخامسة** ان يكون ما فقده من المال
مضطرا اليه كالجايع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى
صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما
ضعيفة واما قوية وقل ما ينفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه

خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد
وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي بيانه ووراء هذه
الاحوال الخمسة حالة هي اعلى من الزهد وهي ان يستوي عنده
وجود المال وفقده فان وجد لم يفرح به ولم يتاذ وان فقد فكذلك
بل حاله كما كان حال عايشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف
درهم من العطا فاخذتها وفرقته من يومها فقالت خادمتها لو
اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتني فعلت فمن هذا حاله
فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزانته لم يضره اذ هو يرى الاموال
في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره
وينبغي ان يسمى هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده
جميعا فليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى
وعلى من كثر ماله من العباد وهو يفرح به وهو فقير الى بقاء
المال في يده وعن بقايه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس
يتاذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى تقاير وليس
فاقدا له ليحتاج الى الدخول في يده ثم معناه الى العموم اميل فهو الى
الغنى الذي هو وصف الله تعالى اقرب وانما قرب العبد من الله بقرب
الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل

مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شيء واما
هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن
اشيا اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه
الذي زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق
والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق
فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب منقلبة بين الرق والحرية
في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن
الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد درجة
هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد
في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره
للدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى
حجاب عن الله اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا
فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون
السموات والارضون حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه
الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وانت لا
تزال مشغول بنفسك وشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا
عنه والمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه

ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب
الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق
الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو حالة
اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه
ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان
النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق
ونقص فيه فكذا النظر الى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن
احدهما اخف من الاخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب
بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا
يجتمع ايضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا
غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في
غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في
غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان يزول
هذه الغفلة ويتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا
مطية توصل الى الله تعالى فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج
مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر
للكعبة والاخر مستقبل لها فهما سيان بالاضافة الى الحال في

ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل
محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول وليس موجودا
بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها
حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان يظن
ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله ولا وصول اليه
الا بدفع العائق ولذلك قال ابو سليمان الداراني رحمه الله من زهد
في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالاخرة
فبين ان سلوك طريق الاخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع
الغريم العائق عن الحج فاذن قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به
عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به
الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص
ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان
يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك بان تكون على
شاطئ البحر ولا قلته يؤذيك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه
فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير
بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة
ولا ابخل به على احد وهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء واحد في

الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الآخر واذا عرفت
الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك
من الخبز ياتيك لا محالة ما دمت حيا كما ياتيك قدر حاجتك من الما على
ما سياتي بيانه في كتاب التوكل قال احمد بن ابي الحواري قلت
لابي سليمان قال لي مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركاة
التي اهديتها فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو
سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من
اخذها فبين ان كراهية كون الركاة في بيته التفات اليها سببه الضعف
والنقصان فان قلت فما بال الانبيا والاوليا هربوا من المال ونفروا
منه كل النفار فاقول كما هربوا من الما على معنى انهم ما شربوا اكثر
من حاجتهم فتركوا ما وراه ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونه مع
انفسهم بل تركوه في الانهار والآبار والبراري للمحتاجين اليه لا انهم
كانت قلوبهم مشغولة بحبه او بغضه وقد حملت خزاين الارض الى رسول الله
والى ابي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان
قد استوى عندهم المال والحجر وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن
خاف ان لو اخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات
وهذا حال الضعفا فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال

الما

وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفا الا الانبيا والاوليا
واما ان ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار لينزلوا
الى درجة الضعفا ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ
لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها
ولكن لعلمه بانه لو اخذها اخذها اولاده اذا راوها فهلكوا والمسير
بسير الضعفا ضرورة الانبيا والاوليا والعلما وقد عرفت اذن ان
المراتب ست وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع
ثم الحريص واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضى والقناعة
ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقر يطلق
على هذه الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا
المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله
في جميع اموره عامة وفي بقا استغنايه عن المال خاصة فيكون اسم
الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق
باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم
الفقر عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله فهو احق باسم الفقير فاسم
الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر وقوله عليه

السلام كاد الفقر ان يكون كفرا لانا نقص قوله احيني مسكينا
وامتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي
هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي في
دعائه **بيان فضيلة الفقر مطلقا** اما من الايات فيدل عليه قوله
تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم
بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر واما
الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان يحصى روى عبد الله بن عمر بن
ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي
الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم
الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله فقال فقير
يعطي جهده وقال عليه السلام لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه
غنيا وقال عليه السلام ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال
وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث
آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير
على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة تقدير تقدم الفقير الزاهد على

الغني الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك صورة
تفاوت ما بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجة من
خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى
خمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق
بل لا يستنطق عليه السلام الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى وهكذا قوله عليه السلام الرؤيا الصالحة جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس
في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ نعلم
ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بانواع
من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته
وملائكته والدار الاخرة لا كما يعلمه غيره بل يخالفه بكثرة المعلومات
وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه صفة بها
تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة
بارادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من
فعل الله والثالث ان له صفة يبصر بها الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير
صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة يدرك
ما سيكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح

المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب وهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها
للانبيا ونعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام وربما يمكننا
ان نقسمها والى خمسين والى ستين وممكننا ان نتكلف تقسيمها
الى ستة بحيث يقع الرؤيا الصحيحة جزا واحدا من جملتها ولكن
تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن الا بظن
وتخمين ولا ندري تحقيقا انه الذي اراده عليه السلام وانما المعلوم
مجامع الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشد ما
الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقرا لهم درجات كما سبق
فاما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير
الزاهد حتى لم يقتض له التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى
ذلك التقدم بخمسماية عام فليس في قوة غير الانبيا الوقوف على ذلك
الا بنوع من التخمين لا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير في
امثال هذه الامور فان الضعيف الاقلال قد يظن ان ذلك يجري
من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب
النبوة ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال عليه السلام خير هذه
الامة فقراوها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاوها وقال عليه السلام
ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر

والجهاد وروي ان جبريل نزل على رسول الله فقال يا محمد ان الله
يقرا عليك السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيثما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة
قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
يجمع من لا عقل له فقال جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت ٥
وروي ان عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نايم ملتف في
عباه فايقظه وقال يا نايم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد
تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذن حبيبي نم ومر موسى عليه السلام
برجل نايم على التراب وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب
وهو متزر بعباه فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضايع فاوحى الله
تعالى اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي زويت عنه
الدنيا كلها وعن ابي رافع قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر
فقال قل له يقول محمد اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب قال
فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اما والله اني لامين في اهل السما امين في اهل الارض ولو باعني
او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت تركت

هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحياة الدنيا الآية تعزية له صلى الله عليه وسلم
عن الدنيا وقال عليه السلام الفقر ازين بالمؤمن من العذار
على خد الفرس وقال عليه السلام من اصبح منكم معافا في جسمه
آمنا في سربه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها
وقال كعب الاحبار قال الله لموسى يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا
فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطا الخراساني مر نبي من الانبيا
بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته
فلم يخرج منها شي ثم مر باخر فقال بسم الشيطان والقى شبكته
فخرج منها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي
يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله عز وجل
للملايكة اكشفوا العبدين عن منزلتهما فلما راى ما اعد الله عز وجل
لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال يا رب رضيت وقال عيسى
عليه السلام اطلعت في الجنة فرأيت اكثر اهلها الفقرا واطلعت
في النار فرأيت اكثر اهلها الاغنيا وفي لفظ آخر فقلت اين الاغنيا
فقال حبسهم الجد وفي حديث آخر فرأيت اكثر اهل النار النسا
فقلت ما شانهن فقال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران

وقال عليه السلام تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر
آخر الانبيا دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي
دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر
رايته دخل الجنة زحفا وقال عيسى عليه السلام بشدة يدخل الغني
الجنة وفي خبر عن اهل البيت انه عليه السلام قال ان الله اذا احب
عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال
لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رايت الفقر مقبلا فقل
مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت
عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من احباوك من خلقك
حتى احبه لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان الثاني للتاكيد
ويمكن ان المراد به شديد الضر وقال عيسى عليه السلام اني
لاحب المسكنة وابغض النعما وكان احب الاسامي اليه ان يقال يا
مسكين ولما قال سادات العرب واغنياوها للنبي عليه السلام اجعل
لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجي ونجي اليك ولا يجيئون يعنون
بذلك الفقرا مثل بلال وسلمان وصهيب وابي ذر وخباب بن الارت
وعمار بن ياسر وابي هريرة واصحاب الصفة من الفقرا فاجابهم
النبي الى ذلك لانهم شكوا اليه التاذي برايحهم وكان لباس القوم الصوف

في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروايح من ثيابهم فاشتد على
الاغنيا ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينه بن بدر الفزاري
وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم رسول الله الا
يجمعهم واياهم مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك
عنهم يعني الفقرا تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنيا ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنيا وقل الحق من ربكم مع
الفقرا فمن شا فليومن الاية واستاذن ابن ام مكتوم على النبي
عليه السلام وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبي
عليه السلام فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما
يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن ام مكتوم
اما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي عليه
السلام يوتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل
الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك
لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج
يا عبدي الى هذه الصفوف وانظر من فعل ذلك بك فاخذ بيده
ويدخله الجنة وقال عليه السلام اكثروا معرفة الفقرا واتخذوا

عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا وما دولتهم قال اذا
كان يوم القيمة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة وسقاكم شربة
وكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال عليه السلام
دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في
اعلاها فاذا فقرا امتي واولادهم ونظرت في اسفلها فاذا فيه من الاغنيا
والنسا قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما النسا فاضر بهن الاحمران
الذهب والحرير واما الاغنيا فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت
اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاء بعد ذلك وهو يبكي فقلت
ما خلفك عني فقال اما والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت
المشيبات وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي
فانظر الى هذا وعبد الرحمن بن عوف صاحب السابقة العظيمة مع رسول
الله وهو من العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنيا
الذين قال فيهم رسول الله الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا
فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل عليه السلام على رجل
فقير ولم ير له شيا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم
وقال عليه السلام الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول
الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يوبه له

لو اقسم على الله لابره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول
الله منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل
لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي انت وامي يا
رسول الله فاتى باب فاطمة فاستاذن فقالت ادخل يا رسول الله
قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت
فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا
وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي
فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة وقال شدي بها على راسك ثم
اذنت له فدخل فقال عليه السلام السلام عليكم يا بنتاه كيف
اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني
لست اقدر على طعام اكله وقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله وقال
لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم
على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن اثرت الاخرة على
الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة
نساء اهل الجنة قالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران
قال آسية نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة
نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا

اذى فيها ولا صخب ولا نصب لها ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله
لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخرة وروي عن علي عن
النبي عليه السلام قال اذا ابغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة
الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله باربع خصال بالقحط
من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الحكام والشوكة
من الاعداء ٥ واما الاثار فقد قال ابو الدرداء ذو الدرهمين اشد
حبسا او قال اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل عمر الى سعيد بن
عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت امراته احدث امر قال
اشد من ذلك ثم قال اريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا
وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله يقول
يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل
من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ويستخرج وقال ابو هريرة
ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له
خلق يلبسه ورجل لم ينصب له على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه
فلا يقال ايها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري فقال له تخط
لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء
لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رايت الغني

اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري
وقال بعض الحكما مسكين ابن ادم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر
لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا
ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين
وقال ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمن
لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال
يحيى بن معاذ حبك للفقرا من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من
علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار
عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيايه احذر
ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت
عايشه تفرق مائة الف درهم في يوم واحد بوجهها الى معوية وابن
عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك
بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صايمة فقالت لو ذكرتني فعلت
وكانت قد اوصاها رسول الله وقال ان اردت اللحوق بي فعليك
بعيش الفقرا واياك ومجالسة الاغنيا ولا تنزعي درعا حتى ترقعيه
وجا رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة الاف درهم فابى عليه ان يقبلها
فطلب اليه الرجل فقال ابرهيم تريد ان امحوا اسمي من ديوان الفقرا بعشرة

الا ان لا افعل **بيان فضيلة** خصوص الفقرا من الراضين والقانعين
والصادقين قال عليه السلام طوبى لمن هدي للاسلام وكان
عيشه كفافا وقنع به وقال عليه السلام يا معشر الفقرا اعطوا
الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب والا فلا فالاول للقانع
وهذا للراضي ويكاد يشعر هذا المفهوم ان الحريص لا ثواب له على
فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر يدل على ان له ثوابا
كما سياتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضى هو الكراهة لفعل الله
في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله
تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر
روي عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شي مفتاحا
ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرا الصبر هم جلسا الله تعالى يوم
القيمة وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال
احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى
وقال النبي عليه السلام اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا وقال
ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في
الدنيا واوحى الله تعالى الى اسمعيل اطلبني عند المنكسرة قلوبهم
قال من هم قال الفقراء الصادقون وقال عليه السلام لا احد افضل

من الفقير اذا كان راضيا وقال عليه السلام يقول الله تعالى
يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة ومن هم يا ربنا
فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم
الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون
فهذا في القانع والراضي واما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر
الثاني من الكتاب ان شاء الله تعالى واما الاثار في الرضى والقناعة
فكثيرة ولا يخفى ان القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه
ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس وقنع استغنى
عنهم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن
ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء ما من احد
الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا
ومسرورا والليل والنهار داسان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك
ويح ابن ادم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى
قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن ادهم من اهل
النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم اذ نظر الى رجل في
فناء القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه
اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابرهيم ايها الرجل اكلت

الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا
قال نعم فقال ابرهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا
القدر ومر رجل بعامر بن عبد بن قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال يا عبد الله
ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا
قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الاخرة وكان محمد بن واسع يخرج
خبزا يابسا فيبله بالماء وياكله ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج
الى احد وقال الحسن رحمه الله لعن الله اقواما اقسم لهم ثم
لم يصدقوه ثم قرا وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض الاية وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امراته
فقالت له تجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفه ولا سفه فقال
يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي
راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له
وقيل لبعض الحكما ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن
والياس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال في بعض الكتب
المنزلة يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاما
اذا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك

وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقنع بياس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغني من استغنى عن الناس

وقيل ايضا

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه مقدرا اي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته اغاديا ام بها يسري فتطرقه
جمعت مالا فقل هل جمعت له يا جامع المال اياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك الا يوم ينفقه
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في ظلها هما يؤرقه

بيان فضل الفقر على الغنى اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا
فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطا
الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد
دعا على ابن عطا لمخالفته اياه في هذا فاصابته محنة وقد ذكرنا
ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا
سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا
بتفصيل واما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرا الاخبار

والاثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور
الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو
راض او قانع بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا
على امساك المال والثاني فقير حريص وغني حريص اذ لا يخفى ان
الفقير القانع افضل من الحريص الممسك وان الغني المنفق في الخيرات
افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من
الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات
والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطا فيما نحسبه
فاما الغني المتمتع بالمال في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع
وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقرا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبق الاغنيا بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات
في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنيا فتعلم الاغنيا
ذلك فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله فقال عليه السلام ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطا ايضا لما سئل ذلك
فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان
الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب
الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل

الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال
بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى
رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من
عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنيا ذهبوا بالجنة
يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا
بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي عليه السلام بلغ عني الفقراء
ان لمن صبر واحتسب منكم ثلث خصال ليست للاغنيا اما خصلة
واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض
الى نجوم السما لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مومن فقير
والثالث يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسمائة
عام والثالث اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق
فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا
رضينا رضينا وهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
اي مزيد ثواب الفقرا على ذكرهم واما قوله ان الغني وصف الحق فقد
اجابه بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق غني بالاسباب والاعراض
فانقطع ولم ينطق واجاب اخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي

ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل
لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجا وصفات الربوبية
لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبيه عليه
السلام الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال
سهل حب العز والبقا شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانه من صفات
الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في الغني والفقر وحاصل ذلك
تعلق بعمومات تقبل التاويل وبكلمات قاصرة لا يصعب مناقضتها
اذ كما يناقض قول من فضل الغني على الفقر بانه صفة الحق بالتكبر وكذلك
يناقض قول من فضل الغني على الفقر بانه وصف العبد بالجهل والغفلة
لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس
لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطا في هذا هو ما ذكرناه في
كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف
الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن
لكونها عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن
لان فيه فقد العائق عن الله وعدم التشاغل عنه وكم من غني لم يشغله
الغنى مثل سليمان وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله
الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس

به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشوا غل
غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من
الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه
حب الله في القلب والمحب للشي مشغول به سوا كان في فراقه او في وصاله
وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا
معشوقة الغافلين المحروم عنها يطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها
والتمتع بها فاذن ان فرضت فارغين عن حب المال صار المال في حقهما
كالما استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة
ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجايع يسلك سبيل الموت لا
سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد
اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضرا ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك
قال الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء
فلم نصبر وهذا خلقة الادميين كلهم اذ الشاذ النادر الذي لا
يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا
مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك النادر زجر
الشرع عن الغنى وذمه الله تعالى وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى
عليه السلام لا تنظروا الى اموال الدنيا فان بريق اموالهم يذهب نور ايمانكم

١٦

وقال بعض العلما تقلب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر
لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل موسى
من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوا المال والما والذهب والحجر
انما يتصور للانبيا والاوليا ثم تم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول
المجاهدة اذ كان النبي عليه السلام يقول للدنيا اليك عني اليك عني
اذ كانت تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفرا غري غيري
ويا بيضا غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار
بها لولا ان راى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه السلام
ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا
فاذن الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى
الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة
عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم
وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة
من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما
انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب
اذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله اذ لا
يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره

فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما
بقدر تجافيه عن الاخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الاخر
ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر
ما تقرب من احدهما يبعد من الاخر بل عين القرب من احدهما هو عين
البعد من الاخر فعين حب الدنيا هو عين بغض حب الله فينبغي
ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا او انسه
بها فاذا فضل الغنى والفقير بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط
فان تساويا عنه تساوت درجتهما الا ان هذا من له قدم
وموضع غرور فان الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال
ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به
اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه او اذا سرق منه فان وجد
لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية
له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم
الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق
اذ ذاك انه كان مغرورا وان العشق كان مستكنا في الفؤاد
استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا
الانبيا والاوليا واذا كان ذلك محالا او بعيدا فليطلق

القول ان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير
وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته تتضاعف
ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست
مراده لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور فلا يكون
تاثيره في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيره
في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو
في طلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلفا ومثل من يغسل يده
من الغمر بالمسك وقال ابو سليمن الداراني تنفس فقير دون
شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وعن الضحاك
قال من دخل السوق فراى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان
خيرا له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله وقال رجل
لبشر بن الحرث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال
لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في ذلك الوقت
فان دعاك افضل من دعاي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل
روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد
الحسنا وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد
كان ابو بكر الصديق يقول اللهم اني اسالك الذل عند النصف

من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل الصديق
في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان
فقد المال اصلح من وجوده هذا مع ان احسن احوال الغني ان
ياخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك يطول حسابه في عرصات
القيمة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب
ولهذا تاخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا
بالحساب كما راه رسول الله ولهذا قال ابو الدردا ما احب ان
لي حانوتا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وارخ كل
يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سو
الحساب ولذلك قال شقيق اختار الفقرا ثلثة اشيا والاغنيا
ثلثة اشيا اختار الفقرا راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب
واختار الاغنيا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما
ذكره ابن عطا من ان الغني وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان
العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما
فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقايه فلا يضاهي غناه
غنى الله لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور
ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله ليس غنيا بالاعراض والاشيا

صحيح في ذم غني يريد بقا المال وما ذكر من ان صفات الحق لا
يليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شي للعبد بل
منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله وقد سمعت بعض المشايخ يقول
ان سالك الطريق الى الله قبل ان يقطع الطريق يصير التسعة
والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب وأما
التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه
ليس من صفات الله واما التكبر على من يستحقه لتكبر المومن على
الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي يليق به نعم
قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذا وليس ذلك من وصف الله
وانما وصف الله تعالى انه اكبر من كل شي وانه يعلم انه كذلك
والعبد مامور ان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق
كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المومن
اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل
والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله تعالى
منها فلو راى نفسه بهذه الصفة روية محققة لا شك فيها
لكان صفة الكبر حاصلا له ولايقا به وفضيلة في حقه الا انه
لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس

يدري الخاتمة كيف يكون وكيف يتفق فالجهل بذلك وجب ان لا
يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما ختم للكافر
بالايمان وقد يختم له بالكفر فلم ذلك لا بقا له لتصور علمه عن
معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشي على ما هو به كان العلم
كمالا في حقه لانه من صفات الله ولما كان معرفة بعض الاشيا
قد يضره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من اوصاف
الله علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي يتصور
في العبد من صفات الله فلاجرم هو منتهى الفضيله وبه
فضل الانبيا والاوليا والعلما فاذن لو استوى عنده وجود
المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه
الغنى الذي يوصف به الله سبحانه وتعالى فهو فضيله
اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة
حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر المقام الثاني في
نسبة حال الفقير الحريص الى الغني الحريص ولنفرض ذلك في
شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده
فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول
ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده

يكن

ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل
لان الفقد يشغله بالطلب فطالب القوت لا يقدر على الذكر
والفكر الا قدرة مدخوله بشغل والمكفي هو القادر ولذلك
قال عليه السلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال
كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد
منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة
ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحال
الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال واستو يا
في ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا
في ان كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن
افترقا في ان الواجد يانس بما وجده فيتاكد حبه في قلبه
ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا ويكون
الدنيا عنده مثل السجن الذي يبتغي الخلاص منه ومهما استوى
الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا
الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا
ويستوحش من الاخرة بقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال
عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت

فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد
فينبغي ان تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما
يفارقك وهي الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله
تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه
وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر
انسه به وانس الواجد للدنيا بالدنيا اكثر من انس الفاقد لها
وان كان حريصا عليها فاذن قد انكشف بهذا التحقيق ان
الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في
موضعين احدهما غنى مثل عايشة رضي الله عنها يستوي عنده
الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به
ادعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم والثاني الفقر عن مقدار
الضرورة وكان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من
الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته على
الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه اقل فالاصلح له
ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول
في الغنى والفقر وبقي النظر في فقير حريص متكالب على طلب
المال ليس له همة سواه وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال

ولم يكن تفجعه لفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا
في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما
بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله
فيه بيان ادب الفقير في فقره اعلم ان للفقير ادابا في باطنه
وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادب باطنه
فان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله به من الفقر اعني لا يكون كارها
فعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم
يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام
ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو
واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه
السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب
فقركم والا فلا وارفع من هذا الا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا
به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون
متوكلا في باطنه على الله واثقا به في قدر ضرورته انه يأتيه
لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي
رضوان الله عليه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن
علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه

ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علامته اذا كان
عفو به ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية
ويتسخط القضا وهذا يدل على ان كل فقير ليس بمحمود
بل الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل
ما اعطي عبد شيا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث
شغل وهم وطول حساب واما ادب ظاهره فان يظهر التعفف
والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه
يستره ففي الحديث ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال
وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وقال سفين
افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من
كنوز البر واما في اعماله فادبه ان لا يتواضع لغني لاجل
غناه بل يتكبر عليه قال علي ما احسن تواضع الغني للفقير
رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة
بالله عز وجل فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنيا
ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري
اذا خالط الفقير الاغنيا فاعلم انه مراي واذا خالط السلطان
فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنيا

انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن
اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنيا
وطمعا في العطاء واما ادبه في افعاله فان لا يفتر بسبب
الفقر عن عبادة الله ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان
ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر
غنى روي عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل
وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة
الف فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما
طيبة من نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الالف
وينبغي ان لا يدخر ما لا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي
الادخار ثلث درجات احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته
وهي درجة الصديقين والثاني ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد
عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلما ذلك من ميعاد الله لموسى
ففهم منه الرخصة في امل الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين
والثالث ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن
زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز

الخصوص بالكلية وعلى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه
في قوت سنة وعلى الخصوص في اربعين يوما وعلى خصوص
الخصوص في يوم وليلة **بيان ادب الفقير** في قبول العطاء اذا
جاءه بغير سؤال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلثة امور
نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي
ان يكون حلالا خاليا من الشبهات كلها فان كان فيه شبهة
فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات
الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو
اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او
الثواب وهو الصدقة والزكاة او الذكر والرياء والسمعة اما
على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو
الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله ولكن
ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى تركها
فان علم ان بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض فقد اهدي
لرسول الله سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش
وكان عليه السلام يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد
هممت ان لا اتهب الا من قرشي او ثقفي او دوسي وفعل هذا جماعة من

التابعين وجاءت الى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما
فقال حدثنا عطاء عن النبي عليه السلام انه قال من اتاه رزق
من غير مسألة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فاخذ منها
درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن
حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق ثياب خراسان فرد
ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله
عز وجل يوم القيمة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر
الواعظ والعالم اشد في قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل
من اصحابه وكان ابرهيم التيمي يسأل اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه
ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه
صديقه شيئا قال اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في
قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى اخذ والا فلا وامارة
هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على
نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه
مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سألت
احدا قط شيئا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا
فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على

ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وسأله ان ياكله فقال
افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش حتى اكل هذا
فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات فقبل
ذلك منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك فقال
الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد
وذلك صدقة او زكاة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو
مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل
ذلك في كتاب اسرار الزكاة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه
فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم ان المعطي لو
علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه
كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي فان لم يكن فان اخذه حرام محض
لا شبهة فيه الثالث ان يكون غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغي
ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه
الفاسد وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا
يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان
ياتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون
ذلك ويحبون ان يعلم به فيذهب اموالهم واجورهم واما غرضه في الاخذ

فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه ام لا فان كان محتاجا اليه وقد
سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له
الاخذ قال النبي عليه السلام ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الاخذ
اذا كان محتاجا وقال عليه السلام من اتاه شيء من هذا المال من غير
مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ اخر
فلا يرده وقال بعض العلماء من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وقد كان
سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فيرده فقال له السري يا
احمد احذر آفة الرد فانه اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد
علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي قوت
شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال
العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول في شبهة
وغيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان
حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما
في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه
وامساكه ان كان طالبا لطريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى
وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى
يوشك ان يرتع فيه ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في

السر ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا
يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا ياخذ
ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج
فيفعل كلاهما في السر وكلاهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل
اظهار الاخذ واخفاوه في كتاب اسرار الزكاة مع جملة من احكام
الفقر فليطلب من موضعه واما امتناع احمد عن قبول عطا سري السقطي
رحمهما الله فانما كان لاستغنايه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم
يرد يستغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك افات واخطارا و
الورع يكون حذرا عن مظان الافات اذ لم يامن مكيدة الشيطان
على نفسه وقال بعض المجاورين بمكه كانت عندي دراهم اعددتها
للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول
بصوت خفي جايع كما ترى عريان كما ترى فما ترى يا من يرى ما لا
يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا يكاد تواريه فقلت في نفسي لا اجد
لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها فاخذ منها
خمسة دراهم فقال اربعة عن ميزرين وواحد انفقه ثلاثا فلا حاجة
بي الى الباقي فرده قال فرايته الليلة الثانية وعليه ميزران جديدان
فهجس في نفسي منه شي فالتفت الي فاخذ بيدي فاطافني معه اسبوعا

كل شوط منها في جوهر من معادن الارض تتخشخش تحت اقدامنا
الى الكعبين منها ذهب وفضه وياقوت وجوهر ولولو ولم يظهر
ذلك للناس فقال هذا كله اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدي
الخلق لان هذه اثقال وفتنه وذاك للعباد فيه رحمة ونعمة
والمقصود ان الزيادة على قدر الحاجة انما ماتيك ابتلا وفتنه
لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ماتيك رفقا بك فلا
تغفل عن الفرق بين الابتلا والرفق قال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال عليه السلام لا حق
لابن ادم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت
يكنه فما زاد فهو حساب فاذن انت في اخذ الحاجة من هذه الثلث
مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله
تعالى متعرض للعذاب ومن الاختبار ايضا ان تعزم على ترك لذة من
اللذات تقربا الى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فياتيك عفوا صفوا
لتمتحن بها قوة عقدك فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص
لها في نقض العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها
فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية
الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون فاما اذا كان حالك السخا والبذل

والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد
على حاجتك فانه غير زايد على حاجة الفقراء وبادر فيه بالصرف
اليهم ولا تدخر ذلك الى مساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار
فربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك فقد يتصدى لخدمة
الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في
المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب
الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد
السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضا
قضاه الله تعالى عنه وارضى غرماه وذلك بشرط ان يكون مكشوف
الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف
حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل
واجب ان يقضى من بيت المال ومن الزكوات وقد قال تعالى
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه
وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما اتاه الله وقال بعضهم
لله عباد ينفقون على قدر بضايعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن
الظن بالله ومات بعضهم فاوصى بماله لثلث طوايف الاقوياء والاسخياء
والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله

تعالى واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله واما الاغنياء فهم اهل
الانقطاع الى الله فاذن مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال
وفي المعطي فليأخذه وينبغي ان يرى ما ياخذه من الله لا من المعطي انما
المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من
الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكي ان بعض الناس دعا
شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مايدة حسنة فلما قعد قال
لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته
فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في
الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ماذا قصدت بهذا فقال اردت
ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى يا رب جعلت رزقي هكذا على
ايدي بني اسرايل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى
اليه هكذا اصنع باوليايي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي
ليوجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة واداب الفقير المضطر فيه

اعلم انه قد وردت مناهي في السؤال وتشديدات وورد ايضا
فيه ما يدل على الرخصة اذ قال عليه السلام للسايل حق وان جاء
على فرس وفي الحديث ردوا السايل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال

حراماً مطلقاً لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطاء اعانة
فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة
او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام
وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلثة امور محرمة
الاول اظهار الشكوى من الله اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور
نعمة الله عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سأل
لكان سؤاله تشنيعاً على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على
الله وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة والثاني
ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل
نفسه بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق
فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال
ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول والثالث انه لا ينفك عن ايذاء
المسؤول غالباً لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب منه فان
بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى
وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان
ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في
الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة فمهما فهمت هذه المحذورات الثلثة

فهمت قوله عليه السلام حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما
احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة
انما تباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها
وقال عليه السلام من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال
وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم
وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشاً وكدوحاً في وجهه وهذه الالفاظ
صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوماً على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية
ولا تسألوا الناس شيئاً وكان عليه السلام كثيراً ما يأمر بالتعفف عن
السؤال ويقول من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن
لم يسألنا فهو احب الينا وقال عليه السلام استغنوا عن الناس وما قل
من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر سائلاً
يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه
ثانية فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا
تحت يده مخلاة مملوءة خبزاً فقال لست سائلاً ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة
ونثرها بين يدي اهل الصدقة وضربه بالدرة فقال لا تعد فلولا ان سؤاله
كان حراماً لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق

الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول اما ضربه فهو تاديب فقد
ورد الشرع بالتعزير واما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد
بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في
الفقه فاين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
واطلاعه على اسرار دين الله ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة
بالمال غير جايزة او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله
وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعه النبي صلى الله عليه
وسلم وهيهات فان ذلك معصية بل الفقه الذي لاح له فيه انه
راه مستغنيا عن السوال وعلم ان من اعطاه شيا فانما اعطاه على
اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلا يدخل في ملكه باخذه مع
التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه ولا يعرف اصحابه باعيانهم
فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها
من المصالح ويتنزل اخذ السايل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوي
بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي
والصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها
المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما اخذوه على هذا الوجه
لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على مالكه فاستدل

بفعل عمر على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء
وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على
بطلان فعل عمر فاذا عرفت ان السوال يباح بضرورة فاعلم ان الشي اما
ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة
او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سوال الجايع
عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسوال العاري وبدنه مكشوف ما
ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسول
بكونه مباحا والمسول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السايل بكونه
عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السوال
الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة
واما المستغني فهو الذي يطلب شيا وعنده مثله وامثاله فسواله حرام
قطعا وهذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي
٥ يحتاج الى دوا ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلو عن خوف
وكمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتا فهو يتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى
الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكرا وهو قادر على المشي بمشقة
فهذا ايضا ينبغي ان يسترسل عليه الاباحة لانها ايضا حاجة محققة
ولكن الصبر عنه اولى وهو بالسوال تارك للاولى ولا يسمى سواله مكروها

مهما قصد في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يوذيني اذ لا اطيقه
ولكن يشق علي فاذا صدق فصدقته يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله
واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه ليستر
الخروق من ثيابه عن اعين الناس وكمن يسال لاجل الادم وهو واجد
للخبز وكمن يسأل لكرا الفرس في الطريق وهو واجد لكرا الحمار او يسأل كرا المحمل
وهو قادر على الراحلة فهذا اذا كان فيه تلبيس حال واظهار حاجة
غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شي من المحذورات الثلث من الشكوى
او الذل او ايذا المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان
يباح بها هذه المحظورات وان لم يكن فيها شي من ذلك فهو مباح مع
الكراهية فان قلت فكيف يمكن اخلا السؤال عن هذه المحذورات
فاعلم بان الشكوى يندفع بان يظهر الشكر لله والاستغنا عن الخلق
ولا يسأل سؤال المحتاج ولكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني
رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضله على الحاجة وفضول من النفس
فيخرج به من حد الشكوى واما الذل فان يسأل اباه او قريبه او صديقه
الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل
السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد
منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة

لا محالة واما الايذا فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بعينه بل
يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان
كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايذا فانه ربما
يبذل خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه
من غير ملامة واما اذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا
يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه
فذلك لرغبته وانه غير متاذ به وينبغي ان يسأل من لا يستحيي منه لو
رده او تغافل فان الحيا من السائل يوذي كما ان الريا مع غير السائل يوذي
فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحيا منه او من الحا ضرين
ولولاه ما ابتدا به فهو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف
فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق
بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط
الحيا وخوف الملام وضرب الباطن اشد نكاية في قلوب العقلا ولا يجوز
ان يقال في الظاهر قد رضي به وقد قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر
والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا
يمكن ردهم الى البواطن وقراين الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسا ن
مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا

سؤال عما بين العبد وبين الله والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب
عنده كالالسنة عند ساير الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك
وان افتوك وافتوك فان المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا في عالم
الشهادة ومفتي القلوب هم علما الاخره وبفتواهم النجاة عن سطوة
سلطان الاخره كما ان بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا
فاذن ما ياخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه رده
على صاحبه فان كان يستحي من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان
يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة
لينفصي عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى
ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاصي
بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا
امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل اليه فربما يظن السايل
انه راضي ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المتقون
السؤال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيا اصلا وكان بشر لا
ياخذ من احد شيا اصلا الا من السري وقال لاني علمت انه يفرح
بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير
في السؤال والامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل بضرورة

وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم
يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح
له لحم الخنزير واكل الميتة وكان الامتناع طريق الورعين
وارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قراين
الاحوال وكانوا ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان
لا ياخذ الا من اصدقايه ومنهم من كان ياخذ مما يعطي بعضا
ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش
والاقط وكان هذا فيما ياتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون
الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا للرياسة
وسمعة وكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا منه
راسا الا في موضعين احدهما الضرورة وقد سأل ثلثة من الانبيا في
موضع الضرورة سليمن وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في
انهم ما سالوا الا من علموا انه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقا
والاخوان وفي حق الاخوان وقد كانوا ياخذون ما لهم بغير سؤال
واستيذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضى القلب لا نطق
اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم
فان كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما

يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة
السؤال ان يعلم المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون
السؤال فلا يكون لسؤالك تاثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه
بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك
فيها في الرضا في الباطن وحال لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك
بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية
حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت قلبه
فيها وليترك حزاز القلوب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا
يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته
وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة
تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للدالة على الكراهة وبهذه
الدقائق يطلع على سر قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما
اكل الرجل من كسبه وقد اوتي والله جوامع الكلم لان من لا كسب له
ولا مال ورثه من كسب ابيه او احد اقربيه فياكل من ايدي الناس
فان اعطي بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو
انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطي بسؤال
فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على

حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من ايدي الناس علمت
ان جميع ما ياكله او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي
اكتسبته انت او مورثك فاذن بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل
من ايدي الناس فنسأل الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان
يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده **بيان مقدار
الغنى المحرم للسؤال** اعلم ان قوله عليه السلام من سأل عن ظهر
غنى فانما يسأل جمرا فليستقل منه او ليستكثر صريح في التحريم
ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل
يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى
الله قالوا وما هو قال غداء يوم او عشاء ليلة وفي حديث آخر من سأل
وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سأل الحافا وفي لفظ
آخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي
ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا
واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم
يحيط باحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاحق لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري به عورته
وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلث اصلا في الحاجات

لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاوقات فاما
الاجناس فهي هذه الثلث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق به الكرا
للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي ولذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق
بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته واما المقادير فالثوب يراعى
فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس
واما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليقس على هذا اثاث البيت
جميعه ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر
فيما يكفي به الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد
ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة
واما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما
يقتات ولو كان الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية
اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقله ما يجزي
من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو
سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في
الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه
فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلث درجات احدها ما يحتاج اليه
في السنة وليقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال

لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير
بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة
اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه
قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا يفوته فرصته فلا
يحل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد
فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غدا يوم وعشا ليلة
وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته
فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال
لان امل البقا سنة غير بعيد وهو بتاخير السؤال خائف ان يبقى
مضطرا عاجزا عما يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل
ضعيفا وكان ما لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل
سؤاله عن كراهة وتكون كراهته بحسب درجات ضعف
الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السؤ
وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره
لنفسه بينه وبين الله عز وجل فيستفتي فيه قلبه ويعمل به اذا
كان سالكا طريق الاخرة وكلما كان نفسه اقوى وثقته بمجيء الرزق
في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله اعلى

الـ

فلا يكون خوف الاستقبال وقد قال الله قوت يومك لك
ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد
قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى
الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا والسؤال من الفحشاء ابيح بالضرورة وقال من يسال
لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنة اشد من
حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما
مباحان في الفتوى الظاهر ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول
الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من المهلكات

بيان احوال السائلين كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلثة
فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين
وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس
وفقير يسال عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين ه
فاذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة
والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق ابن ابرهيم حين قدم
عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك فقال تركتهم ان اعطوا
شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد

اثنى عليهم غاية الثنا فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ
عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال
الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال
صدقت يا استاذ فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضى
والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الاخرة من
معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم
لم يقدر على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى
اعلا عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل
سافلين ثم امر بان يترقى الى اعلا عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو
لا يقدر على الترقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما
يقدر عليه وارباب الاحوال قد يغلبهم حالة تقتضي ان يكون السؤال
مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال
بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسين النوري يمد يده
ويسال الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته
له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم
يسال الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم من الاخرة فيوجرون من حيث لا
يضرهم وكانه اشاره الى قوله عليه السلام يد المعطي هي يد الاخذ

للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما ياخذه ثم قال الجنيد
هات الميزان فوزن ماية درهم ثم قبض قبضة والقاها على المايه
ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشي ليعرف مقداره
فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت
بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مايه وقال ردها عليه
وقل له انا لا اقبل منك شيا واخذ ما زاد على المايه قال فزاد
تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه
وزن المايه لنفسه طلبا لثواب الاخرة وطرح عليها قبضة بلا
وزن لله تعالى فاخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله
لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا
الله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم
وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه
من غير مناطقة باللسان ولكن تشاهد القلوب وتناجي الاسرار
وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال
على الله تعالى بكنه الهمة فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل
كمن ينكر مثلا كون الدوا مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال
اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان

كمن شرب المسهل فلم يوثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فاخذ
ينكر كون الدوا مسهلا فهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكن
ليس خاليا عن حظ وافي من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل
سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهذا صاحب الذوق والمعرفة
وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل
ولكنه امن بذلك وصدق به فهذا صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا
الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن
خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المومنين ويحشر يوم
القيمه في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى العقول الضعيفة واتباع
الشياطين فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القايلين
امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني

من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد
وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس
والمسكن والاثاث وضرورات المعيشه وبيان علامة الزهد

بيان حقيقة الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات
السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات
لان ابواب الايمان كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل

وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن
والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما
ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل
يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم
والعمل اما الحال فنعني به ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف
الرغبة عن الشي الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شي الى غيره
بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما رغب عنه
لرغبته في غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا الى
وبالاضافة صح
العدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعي حال الزهد مرغوبا
عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه
ان يكون ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس
مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك التراب والحجر وما
اشبهه لا يسمى زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنا
نير
لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون
عنده خيرا من المرغوب عنه حتى يغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم
على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة
الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة وحبا ولذلك

قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين
معناه باعوه وقد يطلق الشرى بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف
بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم
احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا
بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ومن باع الآخرة بالدنيا فهو زاهد
ايضا ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا
كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل
في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور
الا بالعدول الى شي هو احب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال
والذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو
الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد
في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار
والفواكه فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من
حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او
يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة لا يستحق اسم الزهد
مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التا
ئبين
وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة

عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي
حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما
لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا
يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة
تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن
الدنيا عدولا الى الآخرة او عن غير الله تعالى عدولا الى الله وهي
الدرجة العليا وكان يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده
فيشترط في المرغوب عنه ان يكون عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال
وبالترك يتم زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال
الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيما
ذا زهدت واما العلم الذي هو المثمر لهذا الحال فهو العلم بكون
المتروك حقيرا بالاضافة الى الماخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع
فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان يزول الرغبة عن المبيع
فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اي لذاتها
خير في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثال الدنيا والآخرة
فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض
والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له وبقدر قوة اليقين والمعرفة بالنفاوت

بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي
يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال
استبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا
الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر
على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في
الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد
الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان تختطفه الموت ولا يبقى
معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة
بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنبه على
ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد
الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعائه
اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال له النبي عليه السلام لا تقل
هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان
الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله
حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له
ولا يتصور ان يرى بايع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض

مثلا لانه مستغني عن الحشرات وليس مستغنيا عن الفرس والله
تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة
الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي
يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن
حال الزاهد فهو ترك واخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي
هو خير بالذي هو ادنى وكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع
واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزاهد يوجب ترك المزهود
فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلايقها
فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين
ما اخرجه من القلب ويعطف على اليد والعين وساير الجوارح
وظايف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا
وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به
بهذا البيع ووفى بالعهد فمن اسلم حاضرا في غايب وسلم الحاضر واخذ
يسعى في طلب الغايب سلم اليه الغايب حين فراغه من سعيه ان كان
العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا
للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف
بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى

ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى يشفع فيه
احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم
على اخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك
وعلامة الزهد الاخراج وان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون
البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن
لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر
عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل
اليك انه وان اتاك فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره
دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تجرب حال القدرة
فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي
عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف
من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك
ان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة
في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف
والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون
ايضا من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع
الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى

ماترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة
الا ترى الى هذا ابن الحايك لا نفتي في مسئلة الا رد علينا يعني
ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحايك ام ما هو لكن
لكن اعلم ان الدنيا غدت عليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها
ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله انا نحب ربنا ولو
علمنا في اي شي محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم
قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم
يعني من القليل قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة واعلم انه ليس من الزهد
ترك المال وبذله على سبيل السخا والفتوة وعلى سبيل استمالة
القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادة لا   ولكن صح
مدخل لشي منه في العبادات وانما الزهد ان تترك الدنيا لعلمك
بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك
يتصور ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخا
وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من
حظوظ العاجلة وهي الذ واهنا من المال كما ان ترك المال

على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه
طمعا في الذكر والثنا والاشتهار بالفتوة والسخا او استثقالا   المال صح
له لما في حفظه من المشقة والعنا والحاجة الى التذلل للسلاطين
والاغنيا ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل
الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها
من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ فتركها خوفا من ان
يانس بها فيكون انسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في
حب الله تعالى غيره او تركها طمعا في ثواب الاخرة فترك التمتع
باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان
طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة
واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة
وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فاثر في جميع ذلك ما وعد به في
الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة
خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في
الاخرة اصلا **بيان فضيلة الزهد** قال الله تعالى فخرج على
قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير

فنسب الزهد الى العلما ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثنا
وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وجا
في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها
فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما
له في الاخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ٥
وقال تعالى الذين يستحبون الدنيا على الاخرة وصف الكفار بذلك
فمفهومه ان المؤمن يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على
الحياة الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد
اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا
من المهلكات ونحن الان نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من
المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال عليه السلام من اصبح وهمه
الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل الفقر بين
عينيه ولا ياتيه منها الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله
له شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال عليه السلم

الحياة صح

اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه
يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى
ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال
قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل مخموم القلب صدوق
اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي
لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره
قال الذي يشنا الدنيا ويحب الاخرة ومفهوم هذا ان شر الناس
الذي يحب الدنيا وقال عليه السلام ان اردت ان يحبك الله فازهد في
الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله تعالى فهو في اعلى الدرجات
فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب
الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد
والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحيا
اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا
فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي
بارزا فقال عليه السلام عرفت فالزم عبد نور الله قلبه فانظر

كيف بدا ظاهرها حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقوته
باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد
نور الله قلبه بالإيمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معنى الشرح في قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
قيل له وما هذا الشرح فقال إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر
وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار
الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
فانظر كيف جعل الزهد شرطا للإسلام وهو التجافي عن دار الغرور
وقال عليه السلام استحيوا من الله حق الحياء فقالوا إنا لنستحيي
فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون فبين أن ذلك
ينافي الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا
مؤمنون قال وما علامة إيمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر
عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت
بالأعداء فقال عليه السلام إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون
ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد
تكملة لإيمانهم وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها غيرها وجبت

له الجنة فقام إليه علي فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا
يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها
واتباعا لها وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون أعمال الجبابرة
فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة ٥
وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك
ولا يدخل الجنة من شك وقال أيضا السخي قريب من الله قريب من الناس
قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من
النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء
على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن أبي ذر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل
الله الحكمة قلبه وأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها
وأخرجه منها سالما إلى دار السلام وروي أنه عليه السلام مر
في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم
وأنفسه عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في
قلوبهم قال الله تعالى وإذا العشار عطلت قال فأعرض عنها رسول
الله وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لم لا
تنظر إليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن

رش

عينيك الآية وروى مسروق عن عايشة قالت قلت يا رسول
الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من
الجوع فقال يا عايشه والذى نفسى بيده لو سألت ربى ان يجرى معى
جبال ذهب لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا
على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عايشه
ان الدنيا لا ينبغى لمحمد ولا لال محمد يا عايشة ان الله لم يرض لاولى
العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم
لم يرض لى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل والله ما لى بد من طاعته وانى والله لاصبرن كما صبروا وجهدى
ولا قوة الا بالله وروى عن عمر رضوان الله عليه انه حين فتح عليه
الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها البس لين الثياب
اذا قدمت عليك الوفود من الافاق ومر بصنعة طعام تطعمه
وتطعم من حضر فقال يا حفصة الست تعلمين ان اعلم الناس بحال
الرجل اهل بيته فقالت بلى فقال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول
الله لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة
الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك
الله هل تعلمين ان رسول الله لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من

التمر هو واهل بيته حتى فتح الله عليه خيبر ناشدتك الله هل
تعلمين ان رسول الله قربتم يوما اليه طعاما على مايدة فيها ارتفاع
فشق عليه ذلك حتى تغير لونه ثم امر بالمايدة فرفعت ووضع الطعام
على دون ذلك او وضع على الارض ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول
الله كان ينام على عباة مثنية فثنيت له ليلة اربع طاقات فنام
عليها فلما استيقظ قال منعتمونى قيام الليلة بهذه العباه
اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول
الله كان يضع ثيابه لتغسل فياتيه بلال فيوذنه بالصلاة فما يجد
ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج فيها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة من بنى ظفر صنعت لرسول الله كسا
يين
اوكسا وردا وبعثت اليه باحدهما قبل ان يخرج الاخر فخرج الى
الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى
كذلك فما زال حتى ابكاها وبكى عمر وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج
وفى بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو انه قال كان لى صاحبان
سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بى طريق غير طريقهما وانى
والله ساصبر على عيشهما الشديد لعلى ادرك معهما عيشهما الرغد
وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى عليه السلام انه قال لقد كان الانبيا

قبل يبتلي أحدهم بالفقر فلا يجد الا العبا وان كان أحدهم ليبتلي
بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم ه
وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل
ترى من بطنه من الهزال وهذا ما كان قد اختاره انبيا الله ورسله
وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الاخرة وفي حديث عمر
رضوان الله عليه انه لما نزل قوله تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة
قال عليه السلام تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن
كنز الذهب والفضة فاي شي ندخر فقال عليه السلام ليتخذ احدكم
لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على اخرته وفي حديث
حذيفة عن رسول الله من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله
بثلث هم لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع
ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان
حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشي
احب اليه من كثرته وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا
نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا على الما فقالوا كيف يستقيم بنيان
على الماء فقال وكيف يستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا

عليه السلام ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت
لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه
فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك وعن ابن عباس انه قال خرج رسول الله ذات يوم
وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له محمد والذي بعثك بالحق ما
امسى لال محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع
من ان سمع هدة من السما افظعته فقال رسول الله امر الله
القيمة ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع
كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت
فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا
ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع لله فقال نبي
عبدا ثلاثا وقال عليه السلام ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما
في ايدي الناس يحبك الناس وقال عليه السلام من اراد ان يؤتيه الله
علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال عليه السلم
من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهي عن الشهوات
ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصايب

ويروى عن نبينا وعن عيسى بن مريم عليهما السلام اربع لا يدركن
الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة
الشيء وجمع الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا
يمكن فان الانبيا ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الاخرة
فاليه يرجع اكثر كلامهم في الخلق وفيما ذكرناه كفاية، واما
الاثار فقد جا في الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط
الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يوثروا صفقة
دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال
الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين، وعن بعض الصحابة قال
تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من زهد في الدنيا
وقال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا
من اصحاب رسول الله وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذاك قال
كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال عمر رضوان الله عليه الزهادة
في الدنيا راحة للقلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا
ان الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفين اشتهي ان ارى
عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان
للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون

وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين
للجنة وقال يوسف ابن اسباط اني لاشتهي من الله تعالى ثلث خصال
ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على
عظمي لحم فاعطي ذلك كله ويروى ان بعض الخلفا ارسل الى الفقها
بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف فلم يقبلها فقال
له بنوه قد قبل الفقها وانت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال
اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بقرة يحرثون عليها فلما
هرمت ذبحوها قبل ان لا ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي
على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا
وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم عليه السلام يلبس من الشعر
وياكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اين ما ادركه
المسا نام وقالت امراة ابي حازم لابي حازم هذا الشتا قد هجم
علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من
هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله
ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك قال الامر اعجل
من ذلك وقال ابرهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية فلن
ينكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن

على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص
واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا
سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود
ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة المتعبدين
المجتهدين الى آخر وقت الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة
الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكانه
التفت الى معنى قوله عليه السلام ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه
كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا
علم ان النعمة في المنع المودي الى الصحة اكثر من الاعطاء المودي الى
السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التوا لا دار استوا ودار ترح
لا منزل فرح من عرفها لم يفرح برخا ولم يحزن على شقا وقال
سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشيا الجوع
والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركنا اقواما وصحبت طوايف
ما كانوا يفرحون على شي من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شي منها
ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش
خمسون سنة وستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم
يجعل بينه وبين الارض شيا ولا امر في بيته بصنعة طعام قط فاذا

كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم
على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا
الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله ان يقبلها واذا عملوا
السيئة احزنتهم وسألوا ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك
ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالعفو **بيان درجات**
الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى
المرغوب فيه اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت
قوته على درجات ثلث الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا
وهو لها مشتهي وقلبه اليها مايل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه
يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق
من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب
اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه
في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه
نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة بها في قليل
او كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره ايا ها
بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه
لا يشق ذلك عليه وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا

الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البايع المبيع
ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه
انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان
الدرجة الثالثة وهى العليا ان يزهد طوعا ويزهد فى زهده فلا يرى
زهده اذ لا يرى انه ترك شيا اذ عرف ان الدنيا لا شى فيكون كمن
ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه
تاركا شيا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الاخرة اخس
من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال فى الزهد وسببه
كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما
ان تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة فى البيع قال
ابو يزيد لابى موسى عبد الرحيم فى اى شى تتكلم قال فى الزهد قال
فى الزهد قال فى اى شى قال فى الدنيا فنفض يده وقال
ظننت انه يتكلم فى شى الدنيا لا شى ايش يزهد فيها ومثل من
ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة
بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب
على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب
ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره فى جميع مملكته افترى

انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه فى
مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس
من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة
خبز ان اكلت فلذتها فى حال المضغ وتنقضى على القرب بالابتلاع
ثم يبقى ثقلها فى المعدة ثم تنتهى الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك
الى اخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها
ونسبة الدنيا كلها اعنى ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة
بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ
لا نسبة للمتناهى الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب
ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل قذر وكدر لكان
لا نسبة لها الى نعيم الابد فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده
الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه
يراه شيا معتدا به ولا يراه معتدا به الا لقصور معرفته فسبب
نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد
وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت
ايضا باختلاف قدر المشقة فى الصبر وكذلك درجة المعجب
بزهده فى قدر التفاته الى زهده واما انقسام الزهد بالاضافة الى

المرغوب فيه فهو ايضاً على ثلث درجات الدرجة السفلى ان يكون
المرغوب فيه النجاة من النار ومن ساير الالام كعذاب القبر
ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من
الاهوال كما وردت به الاخبار ولكن في الخبر ان الرجل ليوقف في
الحساب حتى لو وردت مايه بعير عطاشا على عرقه لصدرت
رواء فهذا زهد الخايفين وكانهم رضوا بالعدم لو عدموا فان
الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد
رغبةً في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور
والقصور وغيره وهذا زهد الراجين فان هؤلا ما تركوا الدنيا
قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دايم ونعيم
سرمد لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة
الا في الله وفي لقايه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص
منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم
بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد
الحقيقي الذي لا يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل
مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله
من الشرك الخفي فهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله

خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار وعرف الدرهم
وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك
من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع
بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش
القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر
ولا يوثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله
تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك الاضافة
الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلا على اطراف
الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلا على عصفور واللعب
به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب
كالصبي الطالب للعب لعصفور التارك للذة الملك وذلك
لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب لعصفور في
نفسه اعلى والذ من الاستيلا بطريق الملك على كافة الخلق
واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه
الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر
ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد
له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام

وبعضها اجمل للجمل فاما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما
سوى الله تعالى فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا
والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها
متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب
والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة
ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ
النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار
والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم
والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل
علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب
والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها
فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد
يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في اية
واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رد في اية اخرى الى
خمسة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر

بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده الى موضع اخر
الى اثنين فقال وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى
واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى فالهوى لفظ يجمع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان
يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان
البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة
والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ
النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا
فقصر امله لا محالة لانه يريد البقاء للتمتع ويريد التمتع الدائم
بارادة البقاء فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة
الا حب دوام ما هو موجود او ممكن في هذه الدنيا فاذا رغب عنها
لم يردها ولذلك قال فلما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا
قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك
الزاهدون وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله
فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين
وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون

الى القتال مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين
الله او نيل رتبة الشهادة وكل من مات منهم على فراشه يتحسر
على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت
على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف
طمعا في الشهادة وانا الآن اموت موت العجائز فلما مات عد
على جسده ثمان مائة ثقب من اثار الجراحات فهكذا كان حال
الصادقين في الايمان رضي الله عنهم واما المنافقون ففروا من
الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم فايثارهم البقا على الشهادة استبدال الذي هو ادنى بالذي
هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله اشترى من
المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع
عشرين سنة مثلا او ثلثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم
الذي بايعوا به فهذا بيان الزهد فيه واذا فهمت هذا علمت
ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشر الا الى
بعض اقسامه فذكر كل واحد ما راه غالبا على نفسه او على من
كان يخاطبه قال بشر رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس

وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي
الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك
كذلك تملك من الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة
ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات
وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهذا اشارة الى المال خاصة
وقال الثوري الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات فان
من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقا فيطول امله ومن قصر
امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس اذا خرج
يطلب ذهب الزهد وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل
التوكل شرطا في الزهد وقال اويس ايضا الزهد هو ترك الطلب
للمضمون وهو اشارة الى الورع وقال اهل الحديث الدنيا هو
العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة
وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه
في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة او الى
بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فايدة فيه في
الاخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان في الاشتغال بواحد
منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اولى مرغوب عنه عنده

وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال هذا افضل
مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه
والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد
هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك كما قال
اويس ولا شك في انه اراد به طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط
يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من حلال
فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم
نر في نقلها فايدة فان من طلب كشف حقايق الامور من اقاويل
الناس راها مختلفة ولا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له
الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه
وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من
اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهولا كلهم اقتصروا
لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم
ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف
وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام
العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها
تختلف فاما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان

يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن
فيه تفصيل ما قاله ابو سليمن الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد
كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شي يشغلك عن الله عز وجل
وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب
الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقرا
ابو سليمن قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي
ليس فيه غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها
للاخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود
فيه فاما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما
قاله ابرهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في
الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل
درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل
لمالك بن انس ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يترك
فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات
وساير الحالات لا سيما خفايا الريا فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة
العلما بل الامور الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى
درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال

له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال
وما الذي تجدد فقال توسدت الحجر اي تنعمت برفع راسك عن
الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي عن
يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى ثقبت جلده تركا للتنعم
بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسالته امه ان يلبس مكان
المسح جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت على
الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان وقال احمد الزهد
زهد اويس بلغ من العري الى ان جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه
السلام في ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط فقال
ما اقمتني انت انما اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحائط
فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجاته
الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد في
الحلال لا في الشبهة والمحظور وليس ذلك من درجاته في شيء
ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الان
فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله فكيف
يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم
وكل ذلك اشتغال بما سوى الله فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله

تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور عرضه
الا بالاستعانة بالبدن على العبادة لم يكن مشتغلا بغير الله
فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة
وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في
طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات
بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك
فكذلك ينبغي ان يكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك
بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن
فيقتصر على قدر الضرورة ولا يقصد التلذذ بل التقوي على طاعة
الله فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد وان قلت لا بد ان
اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن
قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع
حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي حاجته يستريح بذلك ولكن
لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا
اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور
ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير
قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه نسيم

الاستحار خيفة من الاستراحة به والانس القلب معه فلو انس فيه
انس الى الدنيا ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير
الله ولذلك كان داود الطائي له حب مكسور فيه ماوه وكان
لا يرفعه من الشمس ويشرب الما الحار ويقول من وجد لذة الما
البارد يشق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في
جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتما
مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا ثقل على اهل المعرفة القاهرين
انفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة
المضادة بين الدنيا والدين **بيان تفصيل الزهد** فيما هو من
ضروريات الحياة. اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى
فضول فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ غالب الناس انما
يقتنيها للتنعم بركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالاكل
والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك
لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه
فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد
فيه والمهمات ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه
والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد

ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه
في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الان نقتصر على بيان
هذه المهمات الست الاول المطعم ولا بد للانسان من قوت
حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله
وعرضه حتى يتم به الزهد اما طوله فبالاضافة الى جملة العمر
فان من يملك طعام يومه قد لا يقتنع به واما عرضه ففي مقدار
الطعام وجنسه ووقت تناوله فاما طوله فلا يقصر الا بقصر
الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع
عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما
تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا
الدرجة الثانية ان يدخر لشهر او لاربعين يوما والثالثة ان
يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفا الزهاد ومن ادخر لاكثر
من ذلك فتسميته زاهدا محال لان امل بقا اكثر من سنة فهو
طول الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض
لنفسه الاخذ من ايدي الناس كداود الطائي فانه ورث عشرين
دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل
الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد واما عرضه فبالاضافة

الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليله نصف رطل واوسطه
رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المسا
كين في الكفاره وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال
به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن
نصيب. واما بالاضافه الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو
الخبز من النخاله واوسطه خبز الشعير والذره واعلاه خبز
البر غير منخول فاذا ميزت النخاله او صار حوارى فقد دخل في
التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد فضلا عن اوايله واما الادم
فاقله الملح او البقل والخل واوسطه الزيت او يسير من الادهان
اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وكان في الاسبوع مره
او مرتين فان صار دايما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من
اخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا. واما
بالاضافه الى الوقت فاقله في اليوم والليله مره وهو ان يكون صايما
واوسطه ان يصوم ويشرب ليله ولا ياكل وياكل ليله ولا يشرب
واعلاه ينتهي الى ان يطوي ثلثه ايام واسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا
طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى احوال
رسول الله والصحابه في كيفيه زهدهم في المطاعم وتركهم الادم

قالت عايشه تاتي اربعون ليله وما يوقد في بيت رسول الله
مصباح ولا نار قيل لها فبما كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر
والما وهذا ترك اللحم والمرقه والادم وقال الحسن كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف
ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما
ياكل العبد وقال عيسى عليه السلام بحق اقول من طلب الفردوس
فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل
ما شبع رسول الله منذ قدم المدينه ثلثه ايام من خبز البر وخبز
الشعير واياكم وخبز البر فانكم لم تقوموا بشكره وقد ذكرنا
سيرة الانبيا والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما
اتي رسول الله اهل قبا اتوه بشربه من لبن مشوبه بعسل فوضع
القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركها تواضعا لله
تعالى. واتي عمر رضي الله عنه بشربه من ما بارد وعسل في يوم
صايف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي
الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث
ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوه مجلسه والاعتبار
فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد

قرينه والحزن شأنه والحيا شعاره والجوع ادامه والحكمة
كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر
معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته
والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى المهم الثانى الملبس واقل درجاته
ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كسا يتغطى به واوسطه
قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل
وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط
الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود
فى البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد
خرج عن جميع ابواب الزهد هذا من حيث القدر اما الجنس فاقله
المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ
واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوما حتى
رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه
واوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر
من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان
المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة
من ذلك فينبغى ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا

للدنيا ولينظر فيه الى احوال الانبيا والصحابة كيف تركوا
الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عايشة كسا ملبدا
وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى هذين وقال عليه السلام ان الله يحب المتبذل الذى لا يبالى ما
لبس وقال عمرو بن الاسود العبسى لا البس مشهورا ابدا ولا
انام بليل على دثار ابدا ولا اركب على ماثور ابدا ولا املا جوفى
من طعام ابدا فقال عمر من سره ان ينظر الى هدى رسول الله
فلينظر الى عمرو بن الاسود وفى الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة
الا اعرض الله عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا واشترى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة
ثوبيه عشرة وكان ازاره اربع اذرع ونصفا واشترى سراويل
بثلثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت
تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين
يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ وفى الخبر كان قميص رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص زيات ولبس رسول الله
يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته مايتا درهم وكان اصحابه
يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل هذا عليك من الجنة تعجبا

وكان قد اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه
بلبسه ثم نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم
لبس الحرير والديباج وكانه انما لبسه اولا تاكيدا للتحريم كما
لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال
لعايشه في شان بريره اشترطي لاهلها الولا ثم صعد المنبر فحرمه
وكما اباح المتعة ثلثا ثم حرمها تاكيدا لامر النكاح وقد صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال اشغلني النظر
الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم واتوني بانبجانيه اي جهم يعني
كساه فاختار لبس الكسا على الثوب الناعم وكان شراك نعله
قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا
الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة
ولبس خاتما فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم
نظرة اليه ونظرة اليكم وكان عليه السلام قد احتذى نعلين جديدين
فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي
خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين راه وعن سنان
ابن سعد حكت للنبي عليه السلام جبة صوف من صوف انمار وجعلت
حاشيتها سودا فلما لبسها قال انظروا ما احسنها ما البسها قال فقام

اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان عليه السلام اذا
سئل شيا لم يبخل به قال فدفعها اليه وامر ان تحاك له واحدة اخرى
فمات رسول الله وهي في المحاكه وعن جابر قال دخل رسول الله على
فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها كسا من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى
وقال يا فاطمه تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزلت عليه ولسوف
يعطيك ربك فترضى وقال عليه السلام ان من خيار امتي فيما انباني
الملا الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من
خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون
الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وادبهم عند العرش
وهذه كانت سيرة رسول الله في الملابس وقد اوصى امته عامه باتباعه عه
اذ قال من احبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفا
الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وقال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها خاصة وقال لها ان
اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنيا ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه
وعد على قميص عمر رضي الله عنه اثنا عشر رقعة بعضها من ادم ٥
واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة

وقطع كميه من الرصغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه
وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء
ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي
فادعه يجوز ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته
ولا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوب سفين ونعليه بدرهم واربعة
دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته ٥
وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس
منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمان الثياب ثلاث ثوب لله
وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس
وهو ما طلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه
وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين
وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف
ذيل قميصه على راسه وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي
الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه
تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله ان يدخره له من عبقري
الجنة في تخات الياقوت واوحى الله الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا
يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا كما هم

اعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة
وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه
ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبيد الله بن عامر
ابن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر
راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر
فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة
وقال علي رضوان الله عليه ان الله عز وجل اخذ على ائمة الهدى ان
يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير
فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر
ان يقتدي به المسلم ونهى رسول الله عن التنعم وقال ان عباد الله
ليسوا بالمتنعمين ورئي فضالة بن عبيد وهو والي مصر اشعث حافيا
فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله عن الارفاه
وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما من تزيا بزي
قوم فهو منهم وقال رسول الله ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام
وقال عليه السلام ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه
فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله

يوم القيمة الى من حرّ ازاره بطرًا وقال ابو سليمن قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتى الا مرائى او احمق
وقال الاوزاعى لباس الصوف فى السفر سنة وفى الحضر بدعة
ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له
قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا
تجيبنى فقال اكره ان اقول زهدًا فازكى نفسى او فقرًا فاشكو ربى
وقال ابو سليمن لما اتخذ الله ابرهيم خليلًا اوحى اليه ان وار عورتك
من الارض وكان لا يتخذ من كل شى الا واحدا سوى السراويل فانه كان
يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتى عليه حال
الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسى ما لك لا تلبس الجيد
من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله
ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر
وكسا شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلى وقال الحسن لفرقد
السبخى تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغنى ان اكثر اهل
النار اصحاب الاكسية وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود
وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت
انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم فى الدنيا خيّر الله لهم

فى الجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكى المهم
الثالث المسكن وللزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا
يطلب موضعا خالصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب
الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى
من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما
بشرا او اجارة فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة
ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فان
طلب التشييد والتجصيص والسعة والارتفاع السقف اكثر من
ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حدّ الزهد فى المسكن فاختلاف
جنس البنا بان يكون من الجص والقصب او بالطين او بالاجر
واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى
الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا وللزهد مدخل
فى جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغى ان يجاوز
حدّ الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما
جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر
والبرد ودفع الاعين والايدى واقل درجات فيه معلوم وما زاد
عليه فهو من الفضول والفضول كلها من الدنيا وطالب الفضول

والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول شي ظهر
من طول الامل بعد رسول الله التدريز والتشييد يعني بالتدريز
كيف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والتشييد هو البنيان
بالجص وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الاثر ياتي
على الناس زمان يوشون ثيابهم كما يوشى البرود اليمانية وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم علية كان قد
علاها ومر رسول الله عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن
هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه
كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجهه عليه السلام فاخبر
به فذهب فهدمها فمر رسول الله بالموضع فلم يرها فاخبر بانه
هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات رسول الله ولم يضع لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي عليه السلام اذا اراد
الله بعبد شرا في الما والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا فقلنا خص لنا
قد وهى فقال ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام
بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال
الحسن دخلنا على صفوان بن محيريز وهو في بيت من قصب قد مال

عليه فقيل لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم
على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف
ان يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة العبد يوجر عليها الا
ما انفقه في الما والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة
والتطاول في البنيان وقال عليه السلام كل بنا وبال على
صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر و برد وقال عليه السلام
للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السما اي في الجنة
ونظر عمر رضوان الله عليه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص
واجر فكبر وقال ما كنت اظن انه يكون في هذه الامة من يبني
بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين
يعني به الاجر ويقال ان فرعون هو اول من بنى بالجص والاجر واول
من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض
السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا
من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهص ثم رايته مبنيا باللبن
قال وكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص واصحاب الرهص خيرا
من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف

بنايه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان منهم من اذا حج
او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت
بيوتهم من الحشيش والجلود وهو عادة العرب الان ببلاد اليمن
وكان ارتفاع بنا السلف قامه وبسطه قال الحسن كنت اذا
دخلت بيوت رسول الله ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن
دينار اذا علا العبد البنا فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا
افسق الفاسقين وقد نهى سفين عن النظر الى بنا مشيد وقال لولا
نظر الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا
اعجب ممن بنى وترك ولكن اعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن
مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين
يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم المهم الرابع اثاث البيت
وللزهد ايضا فيه درجات فاعلاها حال عيسى عليه السلام اذ
كان لا يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا يمشط لحيته باصبعه
فرمى المشط وراى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث
فانه انما يراد للمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والاخره
وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في
كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي ان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود

يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في
نفسه لكن يستعمل الالة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة
يشرب فيها وياكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف
يستحبون استعمال الة واحدة في اشيا للتخفيف واعلاه ان
يكون له بعدد كل حالة الة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في
العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن
الى طلب الفضول فلينظر الى سيرة رسول الله وسيرة الصحابه
فقد قالت عايشة كان ضجاع رسول الله الذي ينام عليه وسادة
من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله الا عباءة
مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر رضي الله عنه
دخل على رسول الله وهو نايم على سرير مرمول بشريط فجلس فراى اثر
الشريط بجنبه فدمعت عينا عمر فقال له النبي عليه السلام ما
الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك
وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نايم على سرير مرمول
بالشريط فقال عليه السلام اما ترضى يا عمر ان يكون لهما الدنيا ولنا
الاخره قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل عمر على ابي ذر
فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما الذي في بيتك متاعا ولا

غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا
فيه فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا فقال ان صاحب
المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر قال له
ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكا عليها واقتل بها حية ان
لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي اكل فيها واغسل
فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوي للصلاة
فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك
الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة
رضي الله عنها فراى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة
فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله فسأله
ابو رافع فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول
الله وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه
وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما
عليهم فدخل عليها رسول الله فقال بابي انت قد احسنت وراى رسول
الله على باب منزل عايشة سترا فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا
ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عايشة ذات ليلة فراشا جديدا
وقد كان عليه السلام على عباءة مثنية ينام فما زال يتقلب ليلته فلما

اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد
اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشيا فبيتها
فسهر ليلته حتى اخرجها من آخر الليل قالت عايشة فنام حينئذ
حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده
وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما
وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر
الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه المهم الخامس المنكح وقد قال
قايلون لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته واليه ذهب سهل
ابن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النسا فكيف نزهد فيهن
ووافقه ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب
وكان له اربع نسوة وبضعة عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان
الداراني اذ قال كل ما يشغلك عن الله من اهل ومال وولد
فهو عليك مشوم والمراة قد تكون شاغلة عن الله تعالى وكشف الحق
فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في
كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح
افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد
وان لم يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن ان ترك النكاح احترازا

من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشغل عن ذكر الله
فذلك من الزهد ولئن علم ان المراة لا تشغله عن ذكر الله
ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة
فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقا نسله وتكثير
امة رسول الله من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من
ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هي المطلب والمقصد وهذا
كمن ترك اكل الخبز وشرب الما احترازا من لذة الاكل والشرب
وليس ذلك من الزهد في شي لان في ترك ذلك فوات بدنه
فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان ترك النكاح
زهدا في لذته من غير خوف آفة اخرى وهذا ما اعناه سهل لا
محاله ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا
فمن حاله حال رسول الله في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا
اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده
فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى يتصور ذلك
لغير الانبيا والاوليا فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي
ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان
يشغله الكثرة منهن او جمال المراة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع

وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمن الداراني الزاهد في النساء
ان يختار المراة الدون واليتيمة على المراة والشريفة وقال
الجنيد احب للمريد المبتدي لا يشغل قلبه بثلث والا تغير
حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان
لا يقرا ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذن ظهر ان لذة النكاح كلذة
الاكل فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا . المهم السادس
ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه
فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة
في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع
حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى الجاه لا محالة في قلب
خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام
القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن
يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع
فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر
والخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم
باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه
في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه

في بلد لا يحمل العدل فيه او يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر
على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او بمحل له عند السلطان
وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف
وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك
بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله
بالدين والعبادة يمهد له في المحل في القلوب ما يدفع عنه الاذى
ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات
التي تخرج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام
كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال
فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذن
طلب الجاه في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى
الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره
واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان
كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان
بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام وهذا شرط الزهد
فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء
الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة تعين في

التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا
يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن
كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل
في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون من هذا الزهاد وقولنا
انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الاخرة
من المقامات المحمودة لا ينال له والا فاسم الزهد قد لا يفارقه
بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد في
جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق
الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل
بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه
ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج
عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله اذ انصرف من بيت فاطمة
بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن ما يضطر
اليه الانسان من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة
سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة
فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من
الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا لكنه قليل الضرر والسم محذور

شربه والدوا فرض بناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل على ذلك ما روي ان ابرهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك منها شيا فاوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذن قدر الحاجة من الدين وما ورا ذلك وبال في الاخرة وهو في الدنيا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنيا وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته به ان يسلم لورثته فياكلونه وربما يكونون اعداله وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك فلا تجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه قال الشاعر كدود كدود القز ينسج دايما

يشتهي جامع الدنيا ويسعى الشهوات بارد والقز
لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يموت ...

ويهلك غما وسط ما هو ناسجه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه سلاسل يقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فتقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعدا ومراآة الاصدقا وساير حظوظ الدنيا فلو خطر له قد اخطا فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الى ان يفرق ملك الموت بينها وبين جميعها دفعة واحده فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد ملكت بعروق قلبه تجذبه الى الاخرة فيكون اهون احواله ان يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه عن الاخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل المولم ببدنه ويالم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث اثره فما ظنك بما لم يتمكن الا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم
الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة
اليه فنسأل الله تعالى ان يقرر في سماعنا ما نفث في روع رسول
الله حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه ولما انكشف
لاوليا الله ان العبد مهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه
اهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن
رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله
عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلا اشد فرحا منكم بالخصب والرخا
ولو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من
خلاق ولو رأوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ٥
وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه يقول اخاف ان
يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محاله يخاف من فساده
والذين اماتت حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم اذ قال
ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون
وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وكان امره فرطا وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فأحال ذلك كله على

على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلم
احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني فقال
لا استطيع فقال عليه السلام بجهد يدخل الغني الجنة او قال
بشدة وقال بعضهم ما من ذر شارق الا واربعة املاك ينادون
في الآفاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول
احدهم من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول
الآخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان
بالمغرب احدهما لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا
وتمتعوا لطول الحساب **بيان علامات الزاهد** اعلم انه قد
يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار
الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين من رد
نفسه الى قدر يسير من الطعام ولازم ديرا لا باب له وانما
مسرة احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك
لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه
جميعا حتى يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل
قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الصوف الفاخر والثياب الرفيعة
كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد

اليهم

وليلبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى
إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر بالعين التي ينظر إليهم بها إلى الفقراء
فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع
العلم وأنهم على السنة وأن الأشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها
وإنما يأخذون بعلة غيرهم هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى
المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم
ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم وظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم
فادعوها حالا لهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله
كلام الخواص فإذن معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد
مشكل وينبغي أن يعول في باطنه على ثلث علامات، الأول أن لا يفرح
بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما
فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن
يحزن بوجود المال ويفرح بفقده، العلامة الثانية أن يستوي عنده
ذامه ومادحه والأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد
في الجاه، العلامة الثالثة أن يكون أنسه بالله والغالب على قلبه حلاوة
الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة
الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء إذا دخل خرج الهواء

ولا يجتمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره
ولذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أفضى بهم الزهد فقال إلى الأنس
بالله فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا يجتمع وقد قال أهل
المعرفة إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة
جميعا وعمل لهما وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره
أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه
السلام اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي وقال أبو سليمن
من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل
بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد أن يكون في
أحد المقامين ومقامه الأول أن يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي
عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بإمساكه قليلا
من المال على فقد زهده أصلا قال ابن أبي الحواري قلت لأبي سليمن
أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني أنه ورث من أبيه
عشرين دينارا فأنفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك
الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية
فإن الزاهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد إلا بالزهد
في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه

قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك
كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله عيسى عليه السلام
فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مادته نصيبا وان قل فان امالنا
لا تستجري على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل
الله غير ما دون فيه واذا لاحظنا عجايب نعم الله تعالى علينا
علمنا ان الله لا يتعاظمه شي فلا بد ان نعظم السوال اعتمادا
على الجود المجاور ولكل جمال فاذن علامة الزهد استواء الغنى
والفقر والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الانس
بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل
ان يترك الدنيا ولا يبالي بمن اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا
كما هي فلا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ
علامة الزهد السخا بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود
الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد هو عزوف النفس عن
الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمن الصوفي علم من اعلام الزهد ولا
ينبغي ان يلبس صوفا بثلثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم
وقال احمد بن حنبل وسفين الزهد قصر الامل وقال سري لا يطيب
عيش الزاهد اذا اشتغل من نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا

في صح

اشتغل بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف
غريب في الاخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد عمل بلا علاقة
وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل
والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى
ادخل حانوت التوكل والبس ردا الزهد واقعد مع الزاهدين
فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله
عنك الرزق ثلثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه
الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن ان تفتضح ٥
وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها
يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله ولا
يلتفت اليها وقال السري مارست كل شي من امر الزهد فنلت منه
ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل
جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل
الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها فهذا ما اردنا
ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا
يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شا الله تعالى ٥
آخر كتاب الفقر والزهد ويتلوه كتاب التوحيد والتوكل

كتاب التوحيد والتوكل وهو الخامس

من ربع المنجيات من كتب احيا علوم الدين للغزالي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المدبر
للملك والملكوت المنفرد بالعزة والجبروت الرافع السما بغير
عماد المقدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب
والالباب عن ملاحظة الوسايط والاسباب الى مسبب الاسباب
ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه
فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله
وتحققا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم
الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا
على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل
توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة
على محمد قاطع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى اله
واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فان التوكل منزلة من منازل
الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات
المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث
العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد

عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة
وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا
تعسر في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل
على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية
الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطا مع شدة هذا
الخفا الا سماسرة العلما الذين اكتحلوا من فضل الله بانوار الحقا يق
فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث
استنطقوا ونحن الان نبتدي بذكر فضيلة التوكل على سبيل
المقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر
حال التوكل وعمله في الشطر الثاني ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة التوكل اما من الايات فقد قال الله عز وعلا
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال
وقال ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه
ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه
فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب
وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده وطالب الكفاية من غيره هو

التارك للتوكل وهو المكذوب بهذه الآية فانه سؤال في
معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين
من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله
فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ
بجنابه والتجا الى ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره
وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل
ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه وقال
تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى ولله خزائن السموات
والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما
من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو
تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد
القهار، واما الاخبار فقد قال عليه السلام فيما رواه ابن مسعود
اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملئوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم
وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفا
يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله فقال الذين
لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام

عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال
اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه
السلام سبقك بها عكاشة وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
وقال عليه السلام من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة
ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وقال عليه السلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق
منه بما في يديه ويروى عن رسول الله انه كان اذا اصاب اهله
خصاصة قال قوموا الى الصلاه ويقول بهذا امرني ربي قال الله
تعالى وأمر اهلك بالصلاه واصطبر عليها الآية وقال عليه السلام
لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما قال جبريل لابراهيم
وقد رمي الى النار بالمنجنيق الك حاجة فقال اما اليك فلا وفاء
بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى واوحى
الله تعالى الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده
السموات والارض الا جعلت له مخرجا، واما الآثار فقد
قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقي فناولت
الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي

لايموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية ان يلتجئ الى
الى احد غير الله وقيل لبعض العلما في منامه من وثق بالله فقد
احرز قوته وقال بعض العلما لا يشغلنك المضمون لك
من الرزق عن المفروض عليك من العمل فيضيع امر آخرتك ولا ينال
من الدنيا الا ما كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود
العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب
الرزق وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين تاكل
فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال
هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما الى الشام
فقال هرم كيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد
خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله
وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب
الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك
ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم
التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا
في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو

علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما
نحتاج منها الى ما يبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي
يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان
بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود
والحكمة الذي يدل عليه وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير فقد تم
له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا
القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل
والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفة
يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا به
فاذن لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد
هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو
ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك
تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له
قشرتين وله لب وللب دهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولى من
التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل
عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ

صل
شفه

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو الاعتقاد الثالث ان
يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام
المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكنه يراها على كثرتها
صادرة عن الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا
واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في
التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا
لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده
بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك
يعصم صاحبه في الدنيا من السيف والسنان والثاني موحد بمعنى
انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد
عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه
يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة ان توفي عليها ولم يضعف بالمعاصي
عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله يسمى بدعة
وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها
ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب ويسمى كلاما
والعارف به يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده
دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم

باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على
قلب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد
الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل
بالحقيقة الا واحد وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه لا
انه كلف قلبه ان ينعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك
رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الا
عتقاد
الا في صنعة تلفيق كلام به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه
العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد
فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي
الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز
والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج
ج
من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها بل ان اكلت فهي مر
المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفا
النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا
ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد
بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر
مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى

الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القالب والبدن وتوحيد
المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق
القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشر وانما
يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فايدة بعده وكما ان القشرة
السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب
وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا
لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير
كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر
بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه
واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه
بالاضافة الى القشر وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب
عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد
الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير
والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق
فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء

والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون
الكثير واحدا فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفات واسرار هذا
العلم لا يجوز ان يسطر في كتاب فقد قال بعض العارفين افشاء سر
الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر
سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة
واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا
كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه
وعظامه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى
واحد اذ نقول انه انسان واحد وهو بالاضافة الى الانسانية
واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه
وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما فهو
حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه
تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك
كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات
كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبار
آخر سواه كثير بعضه اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان
كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه على كيفية مصير الكثرة في

حكم المشاهدة واحدا او يستفيد بهذا الكلام ترك الانكار
والجحود لمقام لم يبلغه ويؤمن به ايمان تصديق فيكون له من
حيث انك تؤمن بهذا التوحيد نصيب منه بقدر قوة ايمانك
وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم
وتارة تطرا كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز
والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص
تدور في الاسفار فقال فيماذا انت فقال ادور في الاسفار
لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين
قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفنا في التوحيد وكان
الخواص في تصحيح المقام الثالث عن التوحيد فطالبه بالمقام
الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال
فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما نفهم كيفية ابتنا التوكل
عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل
ايضا مبتنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما
الاول فهو واضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في
عموم المسلمين وطريق تاكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه
مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد

القدر منه واما الثالث فهو الذي ينبني عليه التوكل اذ
مجرد التوحيد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي
يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب
وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود
من خلق ورزق وعطا ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك
مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله
تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره
بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك
فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون
لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا
انفتحت لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضاحا اتم من
المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد
في مقامين يبتغي به ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك احدهما
الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات
اما الالتفات الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع
ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم
وعلى الريح في استوا السفينة وسيرها وهذا كله شرك في

التوحيد وجهل بحقايق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا
هم يشركون معناه انهم يقولون لولا استوا الريح لما نجونا ومن
انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهوآء
والهوا لا يتحرك بنفسه ما لم يحرك وكذا محركه وهكذا الى ان
ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه
فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته
فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر
الحبر والكاغد والقلم الذي كتب به التوقيع ويقول لولا القلم
لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية
الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد
الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح
النجاة وشكر الملك الموقع عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة
فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد
مسخرات في قبضة القدرة تسخر القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل
في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع كاتب التوقيع والحق ان الله تعالى
هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا

انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخر على هذا
الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيدك
بهذا الشرك فاتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار
الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول لك كيف ترى الكل
من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شآء
اعطاك وان شآء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك
بسيفه وهو قادر عليك ان شآ حز رقبتك وان شآ عفا عنك فكيف
لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا
تشك فيه ويقول له ايضا ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر
فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا اقدام
الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان
اللعين فشاهدوا بنور البصاير كون الكاتب مسخرا مضطرا كما
شاهد جميع الضعفا كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفا في
ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فرات راس القلم
يسود البياض ولم يمتد بصرها الى الاصابع الكاتب ويده فضلا عن
صاحب القلم فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك
لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح

صدره

لنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض
ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب
وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله في
حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها نطق كل شي
حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على انفسها
بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن
السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز
الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم
وانما اريد به سمعا يدرك به كلاما ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي
ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية
نطقها وانها كيف نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت
على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب
القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها
كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له فلو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشا السر لوم
بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت امينا قط على اسرار

الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق ولو
جاز افشا كل سر لما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا
ولما نهى عن افشا سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا
واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص
حذيفة ببعض الاسرار فاذن عن حكاية مناجاة ذرات الملك
والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما
استحالة افشا السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية
ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها
قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتنائها التوكل ونرد
كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا
ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة
نور الله تعالى للكاغد وقد راه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك
كان ابيض مشرقا والان قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك
وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة فاني
ما سودت وجهي بنفسي لكن سل القلم فانه كان مجموعا في المحبرة
التي هي مستقره ووطنه فسافر عن وطنه ونزل بساحة وجهي ظلما

وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما
انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان
لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني
من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على
ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم
عن السبب في ظلمه وتعديه واخراج الحبر عن وطنه فقال
سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها
بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فازالت عني قشري وشققت
راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهو ذا يستخدمني
ويمشيني على قمة راسي ولقد نثرت الملح على جرحي فسؤالك
وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقد صدقت ثم سأل اليد عن
ظلمها للقلم وتعديها عليه واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا
لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا
مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة فهي التي ترددني وتجول
بي في نواحي الارض اما ترى المدر والشجر والحجر لا يتعدى منه شيء
مكانه ولم يتحرك على نفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر
اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا

لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة
بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني
فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمال اليد
واستخدامها وكثرة ترديدها ايها فقالت دع عنك لومي ومعا
تبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي
عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت لها راكبة
قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة
نوما ظن الظانون اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك
حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني وكانت لي قوة على
مساعدته ولم يكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا
اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني
الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم
سأل الارادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى
صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا
فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لها عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت
بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم
وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول الله

العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار
فانى مسكين مسخر تحت قهر العلم والعقل لا ادرى باى جرم وقفت
عليه وسخرت له والزمت طاعته لكنى ادرى انى فى دعة وسكون
ما لم يرد هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم
وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لى معه
مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمرى ما دام هو المتردد مع
نفسه والمتحير فى حكمه فانا ساكنة ولكن مع استشعار
وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبع وقهر تحت طاعته
واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شانى ودع
عنى عتابك فانى مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا اوان فهم
فالراحلون هم فقال صدقت واقبل على العقل والعلم مطالبا لهم
ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص
القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن
اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكنى
بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت فى بياض لوح القلب
لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسى فلم كان هذا اللوح
قبلى خاليا عنى فسل القلم عنى فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا

يتتعتع السايل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبى فى هذا
الطريق وكثرت منازلى ولا يزال يحيلنى من طمعت فى معرفة هذا
الامر منه على غيره ولكنى قد كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت
اسمع كلاما مقبولا فى الفؤاد وعذرا ظاهرا فى دفع السؤال فاما
قولك انى خط ونقش وانما خطنى قلم فلست افهمه فانى لا اعلم قلما
الا من القصب ولا لوحا الا من العظم او الخشب ولا خطا الا
بالحبر ولا سراجا الا من النار وانى لاسمع فى هذا المنزل حديث
اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد من ذلك شيئا اسمع
جعجعة ولا ارى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت
فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك
فى الطريق الذى توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع
ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق
له وان كنت فى استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وهو شهيد
واعلم ان العوالم فى طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها
ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت
تلك المنازل على سهولة والثانى عالم الملكوت وهو ورائى فاذا
جاوزتنى انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة

وَالبحار المغرقة ولا ادرى كيف اسلم فيها والثالث عالم الجبروت
وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منه ثلاث
منازل اذ فى اوله منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة
بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم
الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وبين
عالم الملكوت يشبه السفينة التى هى فى الحركة بين الماء
والارض ولا هى فى حد اضطراب الما ولا هى فى حد سكون الارض
وثباتها وكل من يمشى على الارض يمشى فى عالم الملك والشهادة
فان جاوزت قوته الى حد يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشى
فى عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشى على الما من غير سفينة مشى فى
عالم الملكوت من غير ان يتعتع فان كنت لا تقدر على المشى على
الما فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين
يديك الا الما الصافى واول عالم الملكوت مشاهدة القلم
الذى يكتب به العلم وحصول اليقين الذى به يمشى على الماء اما سمعت
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام لو
ازداد يقينا لمشى على الهوا لما ان قيل له انه كان يمشى على
الما فقال السالك السايل قد تحيرت فى امرى واستشعر قلبى خوفا

مما وصفته من خطر الطريق ولست ادرى اطيق قطع هذه المهامه مد
التى وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك
واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى فان ظهر لك القلم الذى اكتب به
فى لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز
عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم
اما ترى النبى عليه السلام فى اول امره كوشف بالقلم اذ نزل عليه
قوله تعالى اقرا باسم ربك الذى خلق الى قوله وربك الاكرم الذى
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصرى
وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك
فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه
رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا يشبه ذاته ساير الذوات
فكذلك لا تشبه يده الايدى ولا قلمه الاقلام ولا كلامه
ساير الكلام ولا خطه ساير الخطوط وهذه امور الهية من
عالم الملكوت فليس الله تعالى فى ذاته بجسم ولا هو فى مكان
بخلاف غيره ولا يده لحم ولا عظم ودم بخلاف الايدى ولا قلمه
من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه
رقم ورسم ولا زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك

الا مخنثا بين فحوله التنزيه وانوثه التشبيه مذبذبا بين هولا
ولا الى هولاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام
وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت
بتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله
ان الله خلق ادم على صورته الصورة الظاهره المدركه بالبصر فكن
مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوريه
وان فهمت منه الصورة الباطنه التي تدرك بالبصاير لا بالابصار
فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس
طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى
ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى
فلما سمع السالك من القلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه
مخنث في التشبيه والتنزيه واشتعل قلبه نارا من حدة غضبه
على نفسه لما راها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاه
قلبه يكاد يضي ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته
اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال القلم له اغتنم الان هذه
الفرصه وافتح بصرك فلعلك تجد على النار هدى ففتح له بصره
فانكشف له القلم الالهي واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما

هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام
في قلوب البشر اصناف العلوم وكان له في كل قلب راسا ولا
راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني
خيرا اذ الان ظهر لي صدق انبايه عن اوصاف القلم فاني اراه
قلما لا كالاقلام فعند ذلك ودع القلم وشكره وقال
قد طال مقامي عندك ومراودتي لك وانا عازم على السفر الى
حضرة القلم فاسأله عن شانه فسار اليه وقال له يا ايها القلم
ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به
الارادات الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال
لقد نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب
العلم اذ سالته فاحالك على اليد فقال لم انس ذلك فقال فجوابي
مثل جوابه قال فكيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله
خلق ادم على صورته قال بلى قال فسل عن شاني الملقب بيمين الملك
فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق
بين القلم الالهي وقلم الادمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر
الصورة فقال ومن يمين الملك قال القلم اما سمعت قوله تعالى
والسموات مطويات بيمينه قال بلى قال فالاقلام ايضا في قبضة

هؤلاء
ولا الى هؤلاء

يمينه وهو الذي يرددها فسار السالك من عنده الى اليمين
حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز
وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يحوي مجلدات كثيرة
عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا
كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته
فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال
جوابي ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهو
الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها
القدرة لا محالة فسار السالك الى عالم القدرة فرأى فيه من العجائب
ما استحقر عندها ما قبلها فسألها عن تحريك اليمين فقالت
انما انا صفة فسل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على
الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجرأة لسان السؤال
فثبت بالقول الثابت فنودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر
صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم
شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار
الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ

الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسألك
واتضرع اليك وابتهل بين يديك واقول اشرح صدري لاعرفك
واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك
ان تطمع في الثنا وتزيد على سيد الانبيا بل ارجع اليه فما اتاك
فخذه وما نهاك عنه فانته وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه
الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على
نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جرأة على الثنا عليك فهل
للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع
الى الصديق الاكبر واقتد به فان اصحاب سيد الانبيا كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك
ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا
عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر
عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة
وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا جديد العهد بالدخول في
هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور
وجهل والآن فقد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد
بالملك والملكوت والعزة والجبروت فما انتم الا مسخرون تحت قهره

وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر
والباطن فما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل
له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف
يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس بآخر والظاهر ليس
بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل
على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير المسافرين
اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء
الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة
واول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم
الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة
الى من يطلبه بالسراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة في
عالم الملكوت وهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في
الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد
انتهى هذا التوحيد الى انه ينبني على الايمان بعالم الملكوت
فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا علاج
له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم
الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا

القدرة والارادة والعلم فانها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا
حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى
عالم الشهادة بالحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس فانهم
قالوا ما نراه ولا نثق به فلعلنا نراه في المنام وان قال
وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا
شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك فلا كل مريض يقدر
على علاجه الاطباء فهذا حال الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا
يفهم فطريق السالكين معه ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم
الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء اسود يقبل
الازالة اشتغلوا بازالته وتنقيته اشتغال الكحال بالابصار
الظاهرة فاذا استوى بصره ارشد الى الطريق ليسلكه كما فعل
رسول الله عليه السلام بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج
فلم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان
يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بمشاهدة التوحيد كلموه بحرف
وصوت ورددوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة
ايضا توحيدا اذ تعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد
يفسد باميرين فيقال له على حد عقله آله العالم واحد والمدبر واحد

اذ لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما راه
في عالم الشهادة فيتغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق
اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبيا ان يكلموا الناس على
قدر عقولهم ولذلك نزل القران بلسان العرب وعلى حد
عاداتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي
هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان
الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا
انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل
غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى
متعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي يلقفها من استاذه او من ابويه
او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف
عليه شي من ذلك بل لو كشف الغطا لما ازداد يقينا وان كان
يزداد وضوحا في جليته وما مثال المكاشفين والمعتقدين
الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما ان
كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم
فراوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة الامر
فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم بل قالوا لن نؤثرك على

جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي
هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير واما
اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان
فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا
قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى ثعبان
يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة
والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت
فهو من عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا
فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسايط والا
مسخرات فكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك
ان شا ويسكن ان شا فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان يشا
ان شا ولا يشا ان لم يرد ان يشا لكان هذا مزلة القدم وموضع الغلط
ولكن علمت انه يفعل اذا شا ويشا شا ام لم يشا اذ لم ترد المشية
اليه اذ لو كان اليه لافتقرت الى مشية اخرى وتسلسل الى غير
النهاية واذا لم تكن المشية اليه فمهما وجدت المشية التي تصرف
القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها

سباب

سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة
محركة ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث ضرورة
في القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد
ان يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة الى المقدور
بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشية للقدرة فهو مضطر
في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وكيف
تفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين
شرحا وجيزا يليق بما ذكرنا متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب
لم نقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل من الانسان
يطلق على ثلثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس
بالحنجرة والرئة ويخرق الما اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق
للما والتنفس والكتبة وهذه الثلثة في حقيقة الاضطرار والجبر
واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فاعرب لذلك عنها بثلث
عبارات فتسمى خرقه للما عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا وتسمى
تنفسه فعلا اراديا وتسمى فعلا اختياريا والجبر ظاهر في (كتبته صح)
الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الما او تخطى من السطح الهوا
انخرق لا محالة به فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه

فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الما
الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده
وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو
قصدت عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان
يتركها مفتوحة لم تقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكن
اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة
للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر
عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل
الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة
الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شا فعل وان شا (ان ح)
لم يفعل وتارة يشا وتارة لا يشا فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا
للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تتبع العلم
الذي يحكم بان الشي موافق لك والاشيا تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك
الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد
يتردد العقل فيه فالذي يقطع فيه من غير تردد ان يقصد عينك
مثلا بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع
ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة

ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق
ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك
فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك
بالذي يقطع به من غير روية وفكر وانبعثت الارادة ههنا
كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر
للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير
اي هو انبعاث ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة
ولم تنتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور
خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من
غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار
عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له
في ادراكه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير
الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم
الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان
ان يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في يده او لعدم
السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما
فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكونه موافقا وقتله

نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل
نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل ههنا
يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين الشرين فان ترجح له بعد
الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان
القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت
الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه
يرمي نفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه
ان لا يرمي نفسه ولو كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى
طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه
فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان داعية
الارادة مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة
مسخرة للقدرة والكل يصدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما
هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولما فاذن
معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى
كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل
بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذن هو مجبور على الاختيار
ففعل النار في الاحراق جبر محض وفعل الله اختيار محض وفعل

الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب
اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما ان كان فنا بالبا وتمسكوا
بكتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس منافضا للجبر ولا للاختيار
بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله يسمى اختيارا بشرط ان
لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه
محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان يستعمل في حق
الله الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق ويطول
القول فيه فان قلت فهل يقول ان العلم ولد الارادة
والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر
حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شى لا من
قدرة الله وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض
فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه
بالتولد وبغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه
بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف عليه كافة الخلق الا
الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا
على مجرد لفظه مع تشبيهه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك
يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب

المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة
الا بعد علم ولا علم بعد حياة ولا حياة الا بعد محل للحياة وكما
لا يجوز ان يقال ان الحياة حصلت من الجسم الذي هو شرط الحياة
فكذلك في ساير درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما
ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق
والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم
وكذلك جميع افعال الله ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا
يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى
هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السما والارض حادث على
ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون كما حدث وعلى
الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط
قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم
عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم
وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شى من ذلك لعب واتفاق
بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف
المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا لتقريب مبادي الحق
من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في ما الى

رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضايه وان كان الما هو يرفع
الحدث وهو ملاق له فتقدير القدرة الازلية حاضرة ملاقية
للمقدورات متعلقة بها ملاقات الما للاعضا ولكن لا يحصل بها
المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالما انتظارا للشرط وهو
غسل الوجه فاذا وضع الواقف وجهه على الما في ساير الاعضا
ارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه
لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الما ملاقيا ولم يكن رافعا
والما لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل
ارتفاع الحدث عن اليد عند غسل الوجه فاذن غسل الوجه هو
الرافع للحدث عن اليد وهذا جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة
تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك
خطا بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالما
الملاقي لها لا بغسل الوجه والما لم يتغير واليد لم يتغير ولم يحدث
فيهما شي ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا
ينبغي ان يفهم صدور المقدورات من القدرة الازلية مع ان
القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم آخر
من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه

على طريق التوحيد في الفعل وان الفاعل بالحقيقة واحد
فهو المخوف والمرجو وعليه الاعتماد والتوكل ولم نقدر
على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث
من مقامات التوحيد واستيفا ذلك في عمر نوح محال كاستيفا
ما البحر باخذ قطرات منه وكل ذلك منطوي تحت قولك لا اله الا
الله وما اخف مونتها على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم
لفظها على القلب وما اعز حقيقتها ولبها عند العلما الراسخين
فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع
ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال
للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله
فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول
نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان
ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير
فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى
آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى كون
الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا
انه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد ان خلق الله فيه العلم فارتبطت

القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط
وارتباطه بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط
المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة
يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا
والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتيهما ولكن على وجهين مختلفين
فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدور بالقدرتين
ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن
مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى
نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال افرأيتم ما
تحرثون اضاف ذلك الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال تعالى فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيه من روحنا
وكان النافخ جبريل وكما قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه
قيل في التفسير معناه فاذا قرأ عليك جبريل وكما قال تعالى
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه
والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله

قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي
والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد
به راميا فما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما
معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى ان علينا
بيانه وقال تعالى افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
ثم قال رسول الله في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ
النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول اذكر ام انثى اسوي
ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر يصور
الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض
السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح
في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه
روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكر من مثل هذا الملك
وصفته فهو حق يشاهده ارباب القلوب ببصائرهم فاما كون
الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون
النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن الادلة
والآيات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك انه على كل

شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه
الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طرق الاستدلال
مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من
طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي
بربي وهذا معنى قوله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
وقد وصف الله نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة
الى ملكين ففي الخبر ان ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت
انا اميت الاحيا وقال ملك الحياة انا احيي الاموات فاوحى
الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت
والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذن الفعل يستعمل على وجوه
مختلفة فلا تناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال
عليه السلام ناوله التمرة خذها ولو لم تاتها لأتتك اضاف
الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي على الوجه
الذي ياتي الانسان اليها ولذلك لما قال ذلك التائب اتوب
الى الله ولا اتوب الى محمد قال عليه السلام عرف الحق لاهله
فكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق
والحقيقة لاهله ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز المستعير في

كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل
وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن الانسان مخترع
بقدرته فسماه فاعلا لحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان
نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى
الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف
الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد
وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له
بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي تجوزت به عما وضعه اللغوي له
ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او
اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصدق
بيت قاله شاعر قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل
اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما يقوم بغيره فهو باعتبار
نفسه باطل وانما حقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق
بالحقيقة الا القيوم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه
باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون
فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانما انت الان كما لم تكن فانه

اليوم كما كان فان قلت قد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب
والعقاب والغضب والرضى وكيف غضب على فعل نفسه فاعلم
ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته
فهذا هو القدر الذي راينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث
حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة وسعتها هو الذي
يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا تتم حال التوكل الا كما سياتي
تاليفه بالتوكل وطمانينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا
الايمان باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه
يطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا
قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ريب
فيه ولا ضعف ان الله عز وجل لو خلق الخلايق كلهم على عقل اعقلهم
وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة
ما لا منتهى لوصفه ثم زاده مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم
كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم
دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير
والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما
اعطوا من العلم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر

عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والاخرة
جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع
فيها ذرة او يخفض ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او
فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عن
من انعم عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض اذا
رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر لم يروا فيها تفاوتا ولا فطورا
وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وفرح وعجز
وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل عدل محض لا جور فيه
وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي
وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم
ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا
يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا
يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا
وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو
نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا
المرض لم يتنعم الاصحا بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر
النعمة وكما ان فدا ارواح الانس بارواح البهايم وتسليطهم على

ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل
وكذلك تعميم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على
اهل النيران فدآ لاهل الايمان باهل الكفران عين العدل
وما لم تخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما
ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى
الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد
اذا تآكلت ابقا على الروح عدل لانه فدآ كامل بناقص
فكذلك الامر بالتفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا
والاخرة وكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا
الان بحر عظيم واسع الاطراف مضطرب الاكناف قريب في
السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوايف من القاصرين ولم يعلموا
ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون العاملون ووراء هذا
البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشا سره
المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقتضى به وقد صار ما قضى
به واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب
لقضايه وامره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر
معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن

ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة
التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة

الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله

وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد
التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد وللمعيل وبيان
التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار
وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره **بيان
حال التوكل** قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم
وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة
عنه واما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخايضون
في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن
مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به
ولا فايدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول
التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه
واعتمد عليه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه
متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت اليه نفسه
ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا

فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده
ولنضرب الوكيل فى الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه
دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس
لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا
اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى
الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع
التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شئ اصلا واما
القدرة والقوة فليستجرى على التصريح بالحق ولا يداهن ولا
يخاف ولا يستحى ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس
خصمه فيمنعه الخوف والجبن والحيا او صارف اخر من
الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهى
ايضا من القدرة الا انها قدرة فى اللسان على الافصاح عن
كل ما استجرا القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع
التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس واما منتهى
الشفقة فليكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود فى
حقه فان قدرته لا تغنى دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا
يبالى به ظفر بخصمه او لم يظفر هلك حقه او لم يهلك فان شك فى

هذه الاربعة او فى واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل
فى هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل يبقى
منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره
من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله فى
شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه
الخصال فيه والاعتقادات والظنون فى القوة والضعف تتفا
وت
تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهى الى اليقين الذى لا ضعف فيه كما لو
كان الوكيل والد المتوكل وهو الذى يسعى لجمع الحلال
والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية
فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعية وكذلك
ساير الخصال يتصور ان يحصل القطع بها وذلك بطول الممار
سة
والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا
واقدرهم على نصرة الحق بل على نصرة الحق بالباطل والباطل
بالحق فاذا عرفت التوكل فى هذا المثال فقس عليه التوكل
على الله فان ثبت فى نفسك بكشف او باعتقاد جازم له انه لا
فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة
على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد

وبالاحاد وانه ليس ورا منتهى قدرته قدره ولا منتهى علمه علم
ولا ورا منتهى عنايته بك ورحمته لك عنايه ورحمه لتتكل لا
محاله قلبك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره بوجه ولا الى
نفسك وقوتك فانه لا حول ولا قوه الا بالله كما سبق في
التوحيد عند ذكر الحركه والقدره فان الحول عباره عن الحركه
والقوه عباره عن القدره فان كنت لا تجد هذه الحاله من
نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحد هذه الخصال
الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلا الجبن عليه
وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبه عليه فان القلب قد ينزعج
تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من كان
يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذره ربما نفر طبعه وتعذر
عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او
فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا لكونه ميتا
وانه جماد في الحال وان سنة الله مطرده بانه لا يحشره الان
ولا يحييه وان كان تعالى قادرا عليه كما انها مطرده بان
القلم الذي في يده لا يقلبه حيه ولا يقلب السنور اسدا وان
كان قادرا عليه ومع انه لا يشك اليقين فينفر عن مضاجعه الميت

طبعه في فراش والمبيت معه في بيت ولا ينفر عن ساير الجمادات
وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن
شي منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في
البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذن لا يتم التوكل
الا بقوه القلب وقوه اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب
وطمانينته فالسكون في القلب شي واليقين شي اخر فكم من
يقين لا طمانينه معه كما قال تعالى اولم تومن قال بلى ولكن
ليطمين قلبي فالتمس ان يشاهد احيا الميت بعينه ليثبت في
خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمين به ولا تطمين الا باليقين
في ابتدا امره الى ان يبلغ بالاخره الى درجه النفس المطمينه وذلك
لا يكون في البدايه اصلا وكم من مطمين لا يقين له كساير ارباب
الملل والمذاهب فان اليهودي مطمين القلب الى تهوده وكذا
النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون
عنه فاذن الجبن والجراه غرايز ولا ينفع اليقين معها فهي احد
الاسباب التي تضاد التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع
احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقه بالله

وقد قيل مكتوب في التورية ملعون من ثقته انسان مثله
وقد قال عليه السلام من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف
معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان
تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلث درجات الدرجة
الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله والثقة بكفالته
وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله
مع الله كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى
سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا راها تعلق في كل حال
بذيلها ولم يخلها واذا نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى
لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد
وثق بكفالتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك
بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل
هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا
في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تالهه
الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما كلف الصبي بامه
فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا
وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت

قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا
مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فمتوكل
بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله اي له التفات
الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل
عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل رحمه الله حيث سئل
عن التوكل ما ادناه فقال ترك الاماني قيل فما اوسطه قال ترك
الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم
يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها
ان يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي
الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية
كما يحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجري
الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كله يحدث
جبرا فيكون عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع
الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله هذا
مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وان لم يتعلق بذيل
امه فالام تحمله وان لم يطلب منها اللبن فالام تبتدي وترضعه
وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعا والسؤال منه ثقة

بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسال فكم من نعمة
ابتداها قبل الدعا وبغير استحقاق والمقام الثاني لا يقتضي
ترك الدعا والسوال منه وانما يقتضي ترك السوال من غيره
فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك
ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث
اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني
فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه
الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة
والاسباب طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى
جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض
الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى ينمحي عن ظاهر البشرة الحمرة
التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر البشرة بستر رقيق تتراءى
من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم
فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وساير
الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم
فانه قد يدوم يوما او يومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم
مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع

العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام
الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها
كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع
الى الله بالدعا والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط
والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبير
ات
كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة
الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او
التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما
الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في حضورك
فلتشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله
عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار الحجة
ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ
لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله
واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه
لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا
عليه ان يكون معولا على سنته وعادته وافيا بمقتضيها وهو ان يحمل
السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا يستغني عن التدبير

في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك
كان نقصا في توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم
بعد ان حضر وفا باشارته واحضر السجل وفا بسنته وعادته
وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث
في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المسطر لا يفزع الى حوله وقوته
اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في
الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد
انتهى نهايته فلم يبق الا طمانينة النفس والثقة بالوكيل
والانتظار لما يجري واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال
في التوكل وعلمت وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل
تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسياتي
تفصيله في الاعمال فاذن فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور
والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان
حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذن لم يصر
مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله
مفيدا لمحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذن لا حول ولا
قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل

لانه ليس خالق حوله وقوته بل هو جاعلهما مفيدا في انفسهما
ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل
الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق
في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما
يستخلفه من بعدهما من الفوايد والمقاصد فاذن لا حول ولا
قوة الا بالله حقا صدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب
العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة الا
بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله
بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب
لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي
ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة
لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احدهما الى الاخر اذ في هذه
اضافة لشيئين الى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة اما كلمة
لا اله الا الله فهو نسبة الكل الى الله فانظر الى التفاوت بين
الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا
وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه
الكلمة ولساير الكلمات واكثر الخلق قد قيدوا بالقشرين وما

طرقوا الى اليقين والى اليقين الاشاره بقوله عليه السلام من
قال لا اله الا الله صادقا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة
وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق هذا
المقيد كما اضاف المغفره الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع
واضافه الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل
الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد
القلب ايضا حديث ولكنه ايضا حديث نفس وانما الصدق والاخلاص
وراءهما ولا ينتصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن
تقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله
وان كانت لا تنتهي الى الملك اما ترى ان الله تعالى لما ذكر في
سورة الواقعه المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال
على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب
اليمين ما زاد على ذكر الما والظل والفواكه والاشجار والحور
العين وكل ذلك لذات المنظور والماكول والمشروب والمنكوح
وصور ذلك للبهايم على الدوام واين لذات البهايم من لذات
الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه
اللذات قدر لما وسعت على البهايم ولما رفع عنها درجة الملكية

افترى ان احوال البهايم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه
والاشجار واصناف الماكولات مغبوطه من احوال الملائكه
في سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين هيهات ما ابعد عن
التحصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبرئيل
فيختار درجة الحمار على درجة جبرئيل وليس يخفى ان شبه كل شي
منجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعه الكنس والدباغه
اكثر من نزوعها الى صنعه الكتابه فهو بالكانس والدباغ اشبه
في جوهره منه بالكاتب فكذلك من نزوع نفسه الى صنعة الكتابة
فهو بالكانس والدباغ اشبه في جوهره منه بالكاتب فكذلك
من نزوع نفسه الى نيل لذات البهايم اكثر من نزوعها الى نيل لذات
الملائكة فهو بالبهايم اشبه منه بالملائكة لا محاله وهو لا هم
الذين يقال فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل
لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكه فتركها ذلك للعجز
واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم
واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان
هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول
لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله وان من ليس

قائلا لها عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فإن قلت
ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين إلى الله
تعالى فلو قال قائل السما والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه
فأقول لا لأن الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين
الدرجتين ولا تنظر إلى عظم السما والأرض وصغر الحول والقوة إن جاوز
وصفهما بالصغر تجوزا فليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل عامي
يفهم أن الأرض والسما ليس من جهة الآدميين بل هو من جهة خلق
الله وأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة
وطوايف كثيرة ممن يدعي أنه يدقق في الراي والمعقول حتى يشق الشعر
بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومنزلة عظيمة هلك فيها العالمون.
إذ أثبتوا لأنفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق سوى
الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله إياه فقد علت رتبته
وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله
وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد الا عقبتان أحدهما النظر إلى
السما والأرض والشمس والقمر والغيم والمطر وساير الجمادات والثانية
النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهما وكأنه
كمال سر التوحيد فكذلك أعظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة

التي هذه الكلمة ترجمتها فإذا رجع حال المتوكل إلى التبري
من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح
ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شا الله تعالى
بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل ليتبين أن شيا من
أحواله لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال
فقد قال أبو موسى الدبيلي قلت لأبي يزيد ما التوكل فقال لي
ما تقول أنت فقلت إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي
عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال أبو يزيد نعم
هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في
النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما
ذكره أبو موسى خبر عن أعلى أحوال التوكل وهو المقام الثالث
وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول
التوكل وهو العلم بالحكمة وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب
فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل
والحكمة وهو أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد
قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأعلى الدرجات وليس ترك
الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الأول من التوكل فقد احترز

أبو بكر الصديق رضوان الله عليه في الغار اذ سدّ بنان قدم الحيات
الى ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره او يقال
انما فعل ذلك شفقة على رسول الله لا على نفسه وانما يزول
التوكل بحركة سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا
مجال ولكن سيأتى ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل
فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل ان يخاف مسلط
الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله تعالى وان احترز لم
يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول
والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع
الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد
وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال
وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القا النفس في العبودية
واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة
فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة
الاف درهم دين من غير ان تترك لها وفا لا تيأس من الله ان يقضيها
عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات
اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله

القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال
السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون
الحق هو المتولى لذلك والاول عام للمقامات الثلثة والثاني
اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم الخليل
عليه السلام اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا
اذ كان سؤاله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك
ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك
وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو
حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال ابو
سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله
يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى
التوكل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله
وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام
شفقتها وقال ابو على الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم
التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب
التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظرها بالاضافة
الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد

ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك
وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بايرادها
فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر
الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك
التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة او كلحم على
وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى
على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين
بل نكشف عن الحق فيه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد
وسعيه بعمله الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل
جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده
كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة
ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو
هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او
قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا
بشواهد الشرع

الفن الاول في جلب النافع

فنقول فيه الاسباب التي
بها يجتلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به

وموهوم وهما لا تثق به النفس ثقة تامة ولا تطمئن اليه
الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت
المسببات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطا مطردا لا يختلف
كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك
لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك
السعي ومد اليد الى الطعام سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان
وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس
من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا
دون اكل الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه
ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم
تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد
الزوجة من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال
هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام
بالعمل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق
الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك
واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله تعالى
لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة بدنك وربما تجف في

الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال
ما يزيل عقلك ويبطل حركتك وكيف تعول على حضور الطعام
وربما سلط الله عليك من يغلبك عليه او بعث حية تزعجك
عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك
ولم يكن له علاج الا بفضل الله فبذلك فليفرح وعليه فليعول
فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليه فانه متوكل الدرجة الثانية
الاسباب التي ليست متعينة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل
دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار
والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا
ويكون سفره من غير استصحاب زاد وهذا ليس شرطا في التوكل
بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل
به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما
سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل
ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك
والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين
احدهما ان يكون قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن
الطعام اسبوعا فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب

وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث
يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة
فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع
عن ان يلقاه ادمي او ينتهي الى حلة او قرية او حشيش يزجي به وقته
فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان
يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان
لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح
في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض
وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البير بغير حبل ولا
دلو ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البراري كما يغلب وجود الماء
يحتاج اليه لوضوءه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم او يومين مرة
فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام
وكذلك لا يكون له الا ثوب واحد وربما يتخرق فينكشف عورته
ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي وكل ما في معنى هذه الاربعة
ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه
يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البير
من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا الى فمه فبين الدرجتين

فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا يقول لو انحاز الى شعب
من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق وجلس
متوكلا فهو اثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا
من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسال احدا
شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته
شيء فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني
اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ارزقك حتى تدخل الامصار
وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا
بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى
اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق
عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد
عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل
بموجب سنة الله مع الاتكال على الله دون الاسباب لا يناقض التوكل كما
ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم
الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية
فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب اهو حرام ام
مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في

البوادي اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا
نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث
لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن ان يتفق ولكن لو
اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك
حرام وان فتح باب البيت بطالا غير مشغول بالعبادة فالكسب والخروج
له اولى ولكن ليس فعله حراما الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه
الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير
مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه
بل تطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهذا افضل وهو اعلى مقامات
التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه
لا محالة وعند هذا يتضح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب
من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله تعالى
ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف
اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس اختلف الناس في كل
شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله
وقال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال

عيشي انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها
يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض
الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري
ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون
وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله ولكن بعضهم ياكل بذل
السؤال وبعضهم ياكل بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان
كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون
رزقهم من يده ولا يرون الواسطة الدرجة الثالثة ملابسة
الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة
كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب
ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو
الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب بحيل الدقيقة اكتسابا مباحا
بمال مباح فاما اخذ الشبهة او اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك
غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك
يبطل التوكل وهو مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة
الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي عليه السلام
وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون

الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم بانهم يتعاطون هذه
الاسباب وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات
مما يكثر فلا يمكن احصاؤه وقال سهل التوكل ترك التدبير
وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم
تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر
فهي التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذن قد ظهر
ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا
يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان
المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو
الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيه بالحال والعلم لا بالعمل
فاما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون
في ملابسة هذه الاسباب على ثلثة مقامات الاول مقام الخواص
ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله في تقويته
على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته
على الرضى بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يفقد
زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد مع انه ممكن
مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او مسجد ولكنه في القرى

والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه
تارك الكسب والاسباب الظاهره معول على فضل الله في تدبير
امره من جهة الاسباب الخفيه ولكنه بالقعود في الامصار
متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبه الا
ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد
لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم
عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم

المقام الثالث ان يخرج ويكتسب على الوجه الذي ذكرناه في الباب
الثالث والرابع من كتاب اداب الكسب وهذا السعي ايضا لا
يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينة نفسه الى كفايته
وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك كله ربما اهلكه الله جميعا
في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير
اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافه الى قدرة
الله كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى
قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا
المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو بيدنه مكتسب
وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل

على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط
وانضاف اليه الحال والمعرفه كما سبق ان الصديق رضي الله عنه
لما بويع بالخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه ودخل
السوق فكره المسلمون ذلك وقالوا كيف يفعل هذا وقد اقمت لخلافه
النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم
اضيع حتى فرضوا له اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى
مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق وقته بمصالح المسلمين اولى
ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق رضي الله عنه في مقام التوكل
فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار
ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته
والعلم بان الله هو ميسر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق
الكسب من الاكتفا بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر
وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل
السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب
لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد
دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر
الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل

عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكسب في كل يوم دينارا
لا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به
الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل
بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر
عندي واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم
بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم
بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى
الحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا
بان يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد
صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا
الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في
بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب
لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب
يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى الناس
في انتظار من يدخل عليه ويحمل اليه شيئا بل يكون قوي النفس في
الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب
قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان الاستشراف

القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب
وما كان المتوكلون يأخذون ما استشرف اليه نفوسهم كان
احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا
فضلا عما كان استأجره عليه فرده عليه فلما ولى قال له
احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فقبله فسأل
احمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما
خرج انقطع طمعه وايس وكان الخواص اذا نظر الى عبد في
العطاء او خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا وقال الخواص
وقد سئل عن اعجب ما رآه في اسفاره رايت الخضر ورضي بصحبتي
ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي
فاذن المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروط نيته كما سبق
في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على
بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت ما علامة عدم
اتكاله في البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرق بضاعته
او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا ولم تبطل
طمأنينة قلبه ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله
وبعده واحدا فان لم يسكن الى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب

لفقد شئ فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فترك ذلك وذلك
لان السعلوى كاتبه قال بلغنى انك استعنت على رزقك بالمغازل
ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك فى
قلبه فاخرج آله المغازل من يده وقيل تركها لما توهمت باسمه وقصد
لاجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفين خمسون
دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور ان
يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا
يمكن فاقول بان يعلم ان الذين رزقهم الله بغير بضاعة فيهم
كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان
يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك
بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كانت سببا لفساد دينه وقد
لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغى ان يعتقد ان
الموت جوعا خير له فى الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير
من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك فقد استوى عنده وجود البضاعة
وعدمها وفى الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو
فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح
كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقنى من دهانى وما هو الا

رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا ابالى
اصبحت غنيا او فقيرا فانى لا ادرى ايهما خير لى ومن لم يتكامل
يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال
ابو سليمن الدارانى لاحمد بن ابى الحوارى لى من مقام نصيب الا من
هذا التوكل المبارك فانى ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع
علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما
ادركته ولعله اراد به ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل
الا الله ولا رازق سواه وبان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى
وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبنا
التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات
الدين من الاحوال والاعمال تنبنى على اصولها من الايمان وبالجملة
التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعى قوة القلب وقوة اليقين
ولذلك قال سهل من طعن على الكسب فقد طعن على السنة
ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل
من دواء ينتفع به فى صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة
وحسن الظن بالله تعالى فى تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو
ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين من الله قال

الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا فالإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف
الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع وإذا انضم إليه
الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الأسباب الظاهرة
والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية
الرزق من الأسباب الخفية أيضا يبطل التوكل فقد حكي عن عابد أنه
عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الإمام لو اكتسبت كان
أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار
المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال إن كان صادقا في ضمانه فعكوفك
في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن إماما تقف بين يدي الله وبين العباد
مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك فضلت وعد يهودي على
ضمان الله تعالى للرزق وقال إمام مسجد لبعض المصلين من أين تأكل
فقال اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك وينفع في
حسن الظن مجيء الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية لمن
تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول الرزق إلى صاحبه وفيها
عجائب قهر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا
كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم إبرهيم بن أدهم فقيل له ما أعجب

ما رأيت منه فقال بينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم
دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبرهيم وقال يا
حذيفة أرى بك الجوع فقلت ما أرى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس
فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم   أنت المقصود إليه بكل حال
والمشار إليه بكل معنى * أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع
أنا نائع أنا عاري * هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها
يا باري * مدحي لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار
ثم دفع الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة
إلى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته
الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة
فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع إلي صرة فيها ستمائة دينار ثم
لقيت آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا رجل نصراني فجئت إلى
إبرهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فإنه يجيء الساعة فلما كان
بعد ساعة دخل النصراني فأكب على رأس إبرهيم يقبله وأسلم
وقال أبو يعقوب الأقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة أيام
فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت إلى الوادي لعلي أجد
شيئا يسكن ضعفي فرأيت شلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبي منها

وحشه وكان قايلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره تكون سلجمه
متغيره فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد
اقبل فجا حتى جلس بين يدي ووضع قمطره وقال هذه لك فقلت كيف
خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت
السفينه على الغرق فنذرت ان خلصني الله ان اتصدق بهذه على
اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقال افتحها
فاذا فيها شهد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من هذا
وقبضة من هذا وقبضة من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية
مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام
وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين
فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان قايلا يقول يا بخيل
اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا
العطا فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي
عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجي من مصر ومعي زاد
فجاتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد
وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث لم اكل
فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما

يعطيني شيا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت لي انت تاجر
تقول عسى ان يجي صاحبه فاخذ منه شيا ثم رمت لي شيا من الدراهم
وقالت انفقه فاكتفيت بها الى قريب من مصر وحكي ان بنانا احتاج
الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا
هو ذا يجي النفر فنشتري ما يوافق فلما جا النفر اجتمع رايهم على
واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية
فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها
اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل
كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت
فوكل الله به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه
غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكل وبقي القرص بعده
وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة
فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي ان سكنت
واتكلت على غيره فاليت ان لا ادخل القرية الا ان احمل اليها فحفرت
لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا
في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا
الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان

ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا اهاجرت
الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك عن باب
عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل
بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال
اني قرات القرآن فاغناني عن عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه
قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في
السما وانا اطلبه من الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر
بعد ذلك ينتابه ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت
سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني
نفسي ان استغيث ثم قلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر
حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما للاخر تعال حتى نسد راس
هذا البير لئلا يقع فيها احد فاتوا بقصب وباريه وطموا راس البير
فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكت فبينا
انا بعد ساعه اذا انا بشي جا وكشف راس البير وادلى رجله فكانه
يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني
فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك
من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول ٥

نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى واغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في امري فابديت شاهدي الى غايتي واللطف يدرك باللطف
تراايت لي بالغيب حتى كانما مبشرني بالغيب انك في الكف
اراك وبي من هيبتي لك وحشة فتونسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف
وامثال هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة
على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان
لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ولذلك
حبسه عنه ثم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا
تم اصلا **بيان توكل المعيل** اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق
المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا
من غير استشراف وضيق نفس والاخر ابواب من الايمان ذكرناها
ومن جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان
رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة
في الاخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين له وهو رزق الاخرة
فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا
يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق

مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر
ابواب الايمان فاذن لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو
المقام الثالث كتوكل ابي بكر الصديق رضي الله عنه اذ
خرج فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم او
القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي
الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه
وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة
وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الاخرة فله
ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز له ان
يضيعها الا بان تساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان
لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عبادته لم يجز له التوكل
ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده
الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف
الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر
عن الطعام اكثر من ثلثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال
الفقير بعد خمسة ايام انا جايع فالزموه السوق ومروه بالعمل
والكسب فاذن بدنه عياله وتوكله بما يضر بدنه كتوكله في

وانما يفارقه في شي واحد وهو ان له تكليف نفسه الصبر على
الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان
التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على
الجوع مدة والرضى بالموت ان تاخر الرزق نادرا او ملازمة البلاد
والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري
مجراه فهذا كله اسباب البقا ولكن مع نوع من الاذى لا يمكن
الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى
الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان
الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا
وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى
في الدنيا لاجل الاخرة واستيلا الجبن على قلوبهم باساءة الظن
وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له
تحقيقا ان الله دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد
رزقه وان ترك الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي
اليه فضلات غذا الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة
الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل
به شاءت ام ابت اضطرارا من الله اليه بما اشتعل في قلبها من نار

الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن
الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل
الغذا الكثيف فادر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله
على حسب حاجته أو كان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا
صار بحيث يوافقه الغذا الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن
لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل
الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقص اسباب معيشته
ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والان قد قدر
فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهو الام او
الاب وكان شفقته مفرطة جدا وكان يطعمه ويسقيه في اليوم
مرة ومرتين وكان اطعامه بتسليط الله الشفقة والحب على
قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة
على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا
احس بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة
حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف
وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام
فلم يروه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على

واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذوه ويكفلوه فما رئي الى
الآن في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب
وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة
التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشغل قلبه برزقه
بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبي وقد كان المشفق واحدا
والمشفق الآن الالف نعم كانت شفقة الام اقوى واخص
ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها
ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو احسن من
حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين
وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر
حيث قال ، جرى قلم القضا بما يكون فسيان التحرك والسكون ،
، جنون منك ان تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين ،
فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بصباه واما
هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا
يجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فلقد صدقوا
فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات
الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل وان كان

مشتغلاً بالله ملازماً لمسجد او بيت وهو مواظب على العلم
والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه
ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقذف حبه في قلوب الناس حتى
يحملون اليه قوت كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى
جبل من بين الناس وما رئي الى الآن عابد او عالم استغرق الاوقات
بالله وهو بالامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة
من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل
بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر
قلب الام لولدها فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل
الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل
به وآمن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره
تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلوا والطيور السمان والثياب
الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك ايضا
في بعض الاحوال ولكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله
في كل اسبوع قرص شعير او حشيش شيئا وله لا محالة والغالب انه
يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك
التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة

وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الاخرة وذلك
قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل مع
الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب
فاثر الاضطراب يضعف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا
يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده
رزقه وان لم يكن الا نادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب
فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة
اثمر ذلك ما قاله الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة
عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب ابن الورد لو كانت السما نحاسا
والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت
هذه الامور فهمت ان التوكل مفهوم في نفسه ولا يمكن الوصول اليه
لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل
فاياك ان تجمع بين افلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا
والافلاس عن الايمان به علما فاذن عليك بالقناعة بالقوت والرضى
بالموت فانه يأتيك لا محالة وان فررت منه وعند ذلك على الله ان
يبعث اليك رزقك على يدي من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل
شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا

ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذايذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمان الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسباب السما لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل وننتظر ما يكون فقال التوكل مع التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسال الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين فطالبتني ان اسال الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول

ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا

ويسالنا القوى جهدا وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا

فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي

ايمانه بتدبير الله كان مطمئن النفس ابدا وواثقا بالله فان اسوا حاله ان يموت ولا بد ان ياتيه الموت كما ياتي من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفا بالمضمون من جانب والذي ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم يكن في ظنك وحسابك ولا يكن في توكلك منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا يكون منتظر القلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد ويقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذايذ وبثوب خشن يليق باهل الدين فهذا ياتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر لجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلما اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد ان لا ياخذ

شباب

من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل
الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب
يمنع من السير بالفكر الباطن واشتغاله بالسلوك مع الاخذ
بدّ من يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه يفرغ لله واعانة للمعطي على
سبيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس على
قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق
والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل
عالم وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا
ان الرازق غيره ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين

في التعلق بالاسباب بضرب مثال اعلم ان مثال الخلق مع الله تعالى
مثال طايفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم
محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة
من الخبز وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين وبعضهم رغيفا
رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى
نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان
يطمئن كل واحد منكم في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم
مأمورون بان يوصلوا اليكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم اخذ رغيفين

فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى
ان اتقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم
يوذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن
فاني اخصه بخلعة سنية الى الميعاد المذكور لعقوبة الاخر
ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة
له ومن اخطاه غلماني ولم يوصلوا اليه شيئا فبات الليلة جايعا غير
متسخط على الغلمان ولا قايلا ليته اوصل الي رغيفا فاني غدا
استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام
قسم غلبت بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من
اليوم الى غد فرج ونحن الان جياع فبادروا الى الغلمان واذوهم
واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور
فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف
العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا عن العقوبة ولم
يفوزوا بالخلعة وقسم قالوا نحن نجلس بمراى من الغلمان حتى لا
يخطونا ولكنا لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به
فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا
الميدان وانحرفوا عن مراى اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا

قنعنا برغيف واحد وان اخطأنا قاسينا شدة الجوع الليلة
فلعلنا نقوى على ترك السخط فننال رتبة الوزارة ودرجة
القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تبعهم الغلمان في كل
زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما
حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلثة في زاوية ولم تقع عليهم ابصار
الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع
شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا
فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب
والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحياة الدنيا وباب الميدان
الموت والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد
بالشهادة للمتوكل اذا مات جايعا راضيا من غير تاخير ذلك الى
ميعاد القيامة لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون والمتعلق
بالغلمان هو المتعدي في الاسباب والغلمان المسخرون هي الاسباب
والجالس في ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار
والرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم
السايحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق
ياتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جايعا راضيا فله

الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام
الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واقام سبعة
من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للاسباب بمجرد حضورهم
واشتهارهم وساح في البوادي ثلثة فتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب
واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة واما الآن فالتارك
للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف **الفن الثاني** في التعرض
لاسباب الادخار فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب
من الاسباب فله في ادخاره ثلثة احوال الاولى ان ياخذ قدر حاجته
في الوقت فياكل ان كان جايعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا
مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه ولا يدخر
الا القدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخر على هذه
النية فهذا هو الوفا بشرط التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا
الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة عن حدود التوكل ان يدخره
لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات
الا ثلثة الفار والنملة وابن آدم الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما
دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود في الآخرة للمتوكلين
اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى

انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بالزيادة على الاربعين وقال
ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود المتوكل بالزيادة على الاربعين
ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم
يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير
بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه
يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب
النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين
ايضا على درجات وكذا السابقون واعلى درجات اصحاب اليمين تلاصق
اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان
التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقا
فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما
الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم
وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان
وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الى
المقصود ممن يامل سنة وتقييده باربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلم
بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص للامل فيه
ولكن استحقاق موسى عليه السلام لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين

يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور
كما قال خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة
للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكرنا فادخار ما وراء السنة لا يدخر
له الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن
مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق خفايا
الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات يتكرر
بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر
الامل ومن كان امله شهرين لم يكن درجته درجة من امل شهرا
ولا درجة من امل ثلثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من
الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه
فكل ما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي امر
رسول الله عليا واسامة فغسلاه وكفنه ببردته فلما دفنه قال
لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا
خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هي
يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى
غير انه كان اذا جاء الشتا ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاءه
الصيف ادخر حلة الشتا لشتا اخر ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين

وعزيمة الصبر الحديث ولبس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه
على الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة واما ثوب
الشتا فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج بترك
الادخار ولا يستشرف نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه
الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا
يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل
لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يفرغ
قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد
لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه
والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا في عينها غير محذورة ولا
وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناع
فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بتركه حرفته ولا امر
التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم
الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى
وعمدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته
كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما

المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا
لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل
للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فالادخار
ما يزيد على ذلك سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة
التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمين النفس الى
فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد
ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى
ام ايمن وغيرها ان تدخر شيا لغد ونهى بلالا عن الادخار في
كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق بلال ولا تخش من ذي
العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا
فالاقتدا بسيد المتوكلين عليه السلام وقد كان قصر امله
بحيث اذا بال يتيمم مع قرب الما ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه
وكان عليه السلام لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا
يثق بما ادخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقويا من امته فان اقويا
امته ضعفا بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلبه
في عياله ولكن ليسن ذلك للضعفا من امته ثم اخبر ان الله
تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزايمه تطييبا لقلوب

الضعفا حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون
الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل عليه
السلام الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم
فاذا فهمت هذا علمت ان في الادخار قد يضر بعض الناس ويدل عليه
ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له
كفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا
دينارين داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان وقد كان غيره
من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل
وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد كيتان من النار كما
قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله
اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس
والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة
كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان
لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته
في الاخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا نقص بقدره من الاخرة
واما ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته
بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال الحسن المغازلي

من اصحابه كنت عنده ضحوة من نهار فدخل كهل اسمر خفيف العارضين
فقام اليه بشر وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا
من دراهم وقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب
وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل
منه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام
شي كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فتعجبت من
ذلك وكرهته له فقال بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية
الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل
وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار

الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف
اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط
التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم
في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل
والسقف المنكسر وكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه
للهلاك بغير فائدة نعم سنقسم هذه الاسباب الى مقطوع
به والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها من شرط التوكل
وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية

قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد ترك
المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين
الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى
موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع
وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار باكل
الثوم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتا تهييجا لقوة الحرارة من
الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها
فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان
كانت مقطوعة وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه
الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر
قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى
ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال
تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وقال تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس اما الصبر على اذى السباع
والحيات والعقارب وترك دفعها ليس من التوكل في شيء اذ لا
فايدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه بل للاعانة على الدين

وترتيب الاسباب هاهنا كترتيبها في الكسب وجلب النافع
فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا
ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل
البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا
ولذلك قال عليه السلام للاعرابي لما ان اهمل البعير وقال توكلت
على الله فقال عليه السلام اعقلها وتوكل وقال تعالى
خذوا حذركم وقال تعالى في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا
اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل
اختفا عن اعين العدو ونوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الغار عن اعين الاعدا دفعا للضرر واخذ السلاح في
الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا
ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع
وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي
عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد
حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي ان يغرك ذلك
فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم

من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليست تلك شرطا
في التوكل وفيه اسرار لا نقف عليها ما لم ننته اليها فان قلت
وهل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليه فاقول الواصل لا
يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة على ذلك
المقام ان يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب ولا يزال
يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي
لم يستشل الا باشارتك وكان مسخرا لك فمهما ترتفع درجتك
الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولى
بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يتسخر لك من
كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار
الكلب الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو
واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من الشرود فباي اعتبار
يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال اما العلم
فهو ان يعلم ان اللص لو اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل
بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت
او يفلت وكم من اخذ سلاحه يقتل فلا يتكل على هذه الاسباب اصلا
بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في التوكل بالخصومة فانه

وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على
كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي
الله تعالى به في نفسه وبيته ويقول اللهم ان سلطت على ما
في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري
انما اعطيتني هبة فلا استرجعها او عارية ووديعة فتسترد (دها)
ولا ادري انها رزقي او سبقت مشيتك في الازل بانه رزق
غيري وكيفما قضيت فانا به راض وما اغلقت الباب تحصنا
من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى مشيتك في ترتيب
الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا
حاله وذاك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل
البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه
في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان
لم يجده بل وجده مسروقا فانظر الى قلبه فان وجده راضيا او
فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه الا ليزيد
رزقه في الاخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه
وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا
في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا

ممن لا يأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل قد يكون
على العكس من ذلك فقد يصح له التوكل نعم قد صح له
مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في
الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر
الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة
مزيد الله في دينه من حيث إنها أظهرت له قصوره عن جميع المقامات
وكذبه في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق
نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فإنها خداعة أمارة
بالسوء مدعية للخير فإن قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى
يؤخذ فأقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة يأكل
فيها وكوز يشرب فيه وإناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده
وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث
البيت وقد يدخل في يده مال فيمسكه ليجد محتاجا فيصرفه إليه
ولا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط
التوكل إخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده
وإنما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لأن
سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز إلى الفقراء المتوكلين

في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة
في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله ليس
شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة
والمقراض والإبرة دون الزاد لأن سنة الله جارية بالفرق
بين الأمرين فإن قلت فكيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه
الذي هو محتاج إليه ولا يأسف عليه فإن كان لا يشتهيه ولا
يريده فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن أمسكه لأنه يشتهيه
لحاجته إليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه
فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن
الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الخيرة له فيه لما
رزقه الله ولما أعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن
الظن بالله مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك
عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن يكون خيرته في أن يبتلى بفقد ذلك
حتى يتعب في تحصيله غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر
فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لأنه في جميع
الأحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله علم أن الخيرة
كانت له في وجودها إلى الآن والخيرة الآن في عدمها لما أخذها

مني فمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج
عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث
انه يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا وهو كالمريض
بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذا
فرح وقال لولا انه عرف ان الغذا ينفعني وقد قويت على احتماله
لما قربه الي وان اخر عنه الغذا بعد ذلك فرح ايضا وقال لولا
ان الغذا يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا
يعتقد في لطف الله ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق
بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف
افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسبا[ب]
فانه لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل
بسرقة متاعه او ببقائه فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا ولا في
الاخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من
غني يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا **بيان اداب**
المتوكلين اذا سرق متاعهم للمتوكل اداب في متاع بيته اذا
خرج عنه الاول ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ
كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وجمعه اغلاقا كثيرة

لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما

فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط
ويقول لولا الكلاب ما شددته الثاني ان لا يترك في البيت
متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم او يكون
امساكه سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك
ابن دينار ركوة فقال له خذها فلا حاجة لي اليها قال لم
قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من
ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها
ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد
زهد في الدنيا فما عليه من اخذها الثالث ان ما يضطر الى تركه
في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضى بما يقضي الله فيه من تسليط
سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه في حل او هو في سبيل
الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى
ويكون له نيتان الواحدة عني احدهما ان يكون له مانعا من المعصية فانه
ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام
لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما اخر فيكون ماله فدا
لمال مسلم اخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع
المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله

عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم بمنعه
عن الظلم وبعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه
النية لا يضره لوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق
ويغير القضا الازلى ولكنه يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ منه له كان
له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يوخذ حصل
له الاجر ايضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك
العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد له من ذلك
الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد لانه ليس اليه من
امر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحياة والرزق والبقا فليس اليه
فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يعدم فكذلك امر السرقة
الرابع انه اذا وجد المال الذى له قد سرق فينبغى ان لا يحزن
بل يفرح ان امكنه ويقول لولا الخيرة كانت في ذلك لما سلبه
الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه
واساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه
فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه فالاولى
ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله وان قبله فهو ملكه
في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه غير محبوب عند

المتوكلين وقد روى ان ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى اعيى
ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين
فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا فلبس
نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل الا تذهب فتاخذ [ها]
فقال انى كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رايت
بعض اخوانى في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفر
لى وادخلنى الجنة وعرض على منازلى فيها قال فرايته وهو مع ذلك
كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس
الصعدا ثم قال نعم انى لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم
ذاك قال انى لما رايت منازلى من الجنة رفعت لى مقامات في
عليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها فلما هممت بدخولها
نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه
لمن امضى السبيل فقلت وما امضى السبيل فقيل لى قد كنت تقول
للشيء في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا
لك وحكى عن بعض العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل
معه هميان فانتبه ففقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان
فذكره فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه

اصحابه انهم كانوا قد اخذوا الهميان من جامعة فجاهو واصحابه
وردوا الذهب فابى عليهم وقال خذوها حلالا لكم فما كنت
لاعود في مال اخرجته في سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه
فدعا ابنا له وجعل يصرها صررا ويبعثها الى الفقراء حتى لم
يبق منه شي فهكذا كانت اخلاق السلف رضي الله عنهم
اجمعين وكذلك من اخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه
كره له رده الى البيت بعد اخراجه فيعطيه فقيرا اخر وكذلك
يفعل في الدراهم وساير الصدقات الخامس وهو اقل الدرجات
ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله
ودل ذلك على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده وان
بالغ في الدعا بطل ايضا اجره فيما اصيب ففي الخبر من دعا على
ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان
ثمنه عشرين الفا وكان قايما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج
لطلبه فجاه قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت رايته وهو يحله
قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني
الصلاة قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا
خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شي قد كان سرق

له الا تدعو على ظالمك فقال ما احب ان اكون عونا للشيطان
عليه ارايت لو ردت عليك قال لا اخذها ولا انظر اليها
لاني كنت قد احللتها له وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك
فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين
ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند
بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى
ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله
وفي الخبر ان العبد ليظلم الظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه
حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد
عليه يقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه
وتعرضه لعقاب الله ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله
ظالما وجعل ذلك نقصانا في دنياه لا في دينه فقد شكى بعض
الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن
غمك بانه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما
نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف
بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال اعلى الدنيا تبكي فقال
لا والله ولكن على المسكين انه يسال يوم القيامه ولا يكون له

حجه وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال انى مشغول
بالحزن عليه عن الدنيا **الفن الرابع** السعى فى ازالة الضرر
كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر
ينقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل
لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل
وساير ابواب الطب اعنى معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة
الحرارة بالبرودة وهى الاسباب الظاهرة فى الطب والى موهوم
كالكى والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه
حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل اذ به وصف
رسول الله المتوكلين واقواها الكى ويليه الرقية والطيرة
آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق فى
ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة
كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا
للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع
بل قد يكون افضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص
فهى على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوى غير مناقض
للتوكل فعل رسول الله وقوله وامره اما قوله فقد قال عليه

السلام ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله
الا السام يعنى الموت وقال عليه السلام تداووا عباد الله
وسئل عن الدواء والرقية هل ترد من قدر الله تعالى قال هى
من قدر الله وفى الخبر المشهور ما مررت بملا من الملائكة
الا قالوا مر امتك بالحجامة وفى الحديث انه امر بها وقال
احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ
بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه
قاتل باذن الله وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين
اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت
الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل
الخروج عن سنة الوكيل ايضا وفى خبر منقطع من احتجم يوم
الثلثا لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما
امره فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من
الصحابة بالتداوى والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اى
فصده وكوى اسعد بن زرارة وقال لعلى وكان رمد العين لا
تاكل من هذا يعنى الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعنى سلقا
وقد طبخ بدقيق وشعير وقال لصهيب وقد رآه ياكل التمر

وهو وجع العين باكل تمرا وانت رمد فقال انما اكل بالجانب
الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واما فعله
فقد روى من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة
ويحتجم كل شهر ويشرب الدوا كل سنة وتداوى رسول الله
غير مرة من العقرب وغيرها وروى انه كان اذا نزل عليه الوحي
صدع راسه وكان يغلفه بالحنا وفي خبر انه كان اذا
خرجت به قرحة جعل عليها حنا وقد جعل على قرحة خرجت به
ترابا وما روى في تداويه وامره بذلك خارج عن الحصر وقد
صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي وذكر بعض العلماء في
الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنوا
اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرات فقال
لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دوا فطالت علته فقالوا ان
دوا هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرا فقال لا
اتداوى ودامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ابراتك حتى
تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرا
واوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان
تبطل حكمتي بتوكلك على من اودع العقاقير منافع الاشيا غيري

وروى في خبر ان نبيا من الانبيا شكى علة يجدها فاوحى الله
اليه كل البيض وشكا نبي آخر الضعف فاوحى اليه كل
باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روى
ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم
ان يطعموا نساهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل
ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد
كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفسا الرطب فبهذا
تبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب
اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة لحكمة الله تعالى كسائر
الاسباب فكما ان الخبز دوا الجوع والما دوا العطش والسكنجبين
دوا الصفرا والسقمونيا دوا الاسهال لا يفارقه الا في امرين
احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالما والخبز جلي واضح يدركه
كافة الناس ومعالجة الصفرا بالسكنجبين يدركه بعض الخواص
فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدوا يسهل
والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط اخرى في الباطن واسباب في
المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض
الشروط فيتقاعد الدوا عن الاسهال فاما زوال العطش فلا

يستدعي سوى الماء شرطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب
دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف الاسباب
ابدا ينحصر في هذين الفنين والا فالمتسبب يتلو السبب لا محالة
مهما تم شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب
وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل
استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء
فقد روي عن موسى عليه السلام انه قال رب ممن الدواء والشفا
فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطبا فقال ياكلون ارزاقهم ويطيبون
نفوس عبادي حتى ياتي او قبضي فاذن معنى التوكل مع التداوي بالعلم
والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة النفع

فاقول ليس كذلك اذا الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة
وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في
الظهور لما خلت البلاد الكبيرة عنه وقل ما يعتاد الكي في اكثر
البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب
الموهومة كالرقية الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احراق بالنار
في الحال مع الاستغناء عنه فما من وجع يعالج بالكي الا وله دوا يغني
عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور

فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه
[illegible] التوكل [illegible] النفع

فيه صح

السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما
بعيد ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى رسول الله عن الكي
دون الرقي وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروي ان عمران بن
الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم
عليه الامير حتى اكتوى وكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا
وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع عني ذلك وكان يقول
اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب
الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من امر الملائكة
وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي اكرمني الله بها قد
رد علي بعد ان كان قد اخبره بفقدها فاذن الكي وما يجري
مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير
ثم هو موهوم فيدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى
التعمق فيها **بيان** ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال ويدل
على قوة المتوكل وذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي
ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان
كمالا لتركه رسول الله اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله

وقد روي عن ابي بكر الصديق انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال
قد راني الطبيب وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدردا
في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال رحمة ربي قيل
الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت
عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما مشغول فقيل لو سالت الله
ان يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم علي منهما وكان قد اصاب الربيع
ابن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا
وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطبا فهلك المداوي
والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد
التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدوا
وغيره وكانت به علل لا يخبر بها المتطبب ايضا اذا سأله وقيل لسهل
متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص
في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه
فاذن من ترك التداوي وراه فهم كثيرة ولا يتضح وجه الجمع بين فعل
رسول الله وافعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول لترك
التداوي اسباب الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف
بانه انتهى اجله وان الدوا لا ينفعه ويكون معلوما عنده تارة برؤيا

صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون
ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان
من المكاشفين وانه قال لعايشة في امر الميراث انما هو اختاك
ولم يكن لها الا اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت انثى
فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد
كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوي وقد
شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به ٥
السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع
الله عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي
شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول
وكلام ابي الدردا اذ قال انما اشتكي ذنوبي وكان تالم قلبه خوفا
من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز
من اعزته او كالخايف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له
الا تاكل وانت جايع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون
ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل ويقرب من
هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت قال هو
الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم

قيل سالناك عن الغذا قال الغذا هو الذكر قيل سالناك
عن طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه
اخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا
عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها. السبب الثالث ان
يكون العلة مزمنة والدوا الذي يومر به بالاضافة الى علته موهوم
النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول
الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمودا وفيهم الاطبا فهلك
المداوي ان الدوا غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه
وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة
تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب
اشد اعتقادا في الادوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب
الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي
من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدوا عندهم شيا موهوما
لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب
غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا
فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا
السبب الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي استبقا المرض لينال

ثواب المرض بحسن الصبر على بلا الله تعالى او ليجرب نفسه في
القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد
قال عليه السلام نحن معاشر الانبيا اشد الناس بلا الانبيا
ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان
صلب الايمان شدد عليه البلا وان كان في ايمانه ضعف خفف
عنه البلا وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلا كما يجرب
احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون
ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت
ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي
اصطفاه وقال عليه السلام تحبون ان تكونوا كالحمر الضالة
لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المومن اصح
شي قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شي جسما وامرضه
قلبا فلما عظم الثنا على المرض والبلا احب قوم المرض واغتنموه
لينالوا ثواب الصبر عليه وكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها
للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب
على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا
ان صلاتهم قاعدا مثلا مع الصبر على قضا الله افضل من الصلاة قايما

مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملايكة
اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته
لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى
رحمتي وقد قال رسول الله افضل الاعمال ما اكرهت عليه
النفوس قيل معناه ما دخل من الامراض والمصايب واليه
الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم
وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن
الفرايض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة
فلم يكن يتداوي منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد
يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوي للقيام
في الصلاة والنهوض الى الطاعة يتعجب من ذلك ويقول صلاته
من قعود مع الرضى بحاله افضل من التداوي للقوة والصلوة قايما
وسيل عن شرب الدوا فقال كل من دخل في شي من الدوا
فانما هو في سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل
في شي منه فهو افضل لانه اذا اخذ شيا من الدوا ولو كان هو
الما البارد سال عنه لم اخذت ذلك ومن لم ياخذ سوال
عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعف النفس بالجوع وكسر

الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب لا اذا كان المه
غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة وعلل
القلوب عقوبة. السبب الخامس ان يكون العبد قد سبق
له ذنوب وهو خايف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا
طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد
قال عليه السلام لا تزال الحمى والملايكة بالعبد حتى يمشي على
الارض كالبردة ما عليه خطية. وفي الخبر حمى كل يوم
كفارة سنة فقيل لانها تهد قوة سنة وقد قيل للانسان
ثلثمية وستون مفصلا فتدخل الحمى في جميعها وتجد من كل
الما فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه عز
وجل ان لا يزال محموما ولم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله
وقد سال ذلك طايفة من الانصار وكانت الحمى لا تزايلهم. ولما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذهب الله كريمتيه لم يرض
له ثوابا دون الجنة فلقد كان في الانصار من تمنى العمى وقال
عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب والامراض
على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه. وروي ان

موسى نظر الى عبد عظيم البلا فقال يا رب ارحمه فقال كيف
ارحمه مما به ارحمه اى اكفر ذنوبه وازيد فى درجاته ٥
السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادى البطر
والطغيان وطول الامل والتسويف فى تدارك الفايت وتاخير
الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى
وتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصى واقلها ان يدعو الى التنعم
فى المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال للربح العظيم فى مخالفة
النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله
عن التنبيه بالامراض والمصايب ولذلك قيل لا يخلو المومن من علة
او قلة او ذلة وقد روى ان الله تعالى يقول الفقر سجنى والمرض
قيدى احبس به من احب من خلقى فاذا كان فى المرض حبس عن الطغيان
وركوب المعاصى فاى خير يزيد عليه ولا ينبغى ان يشتغل بعلاجه من
يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى ترك المعاصى فقد قال بعض
العارفين لانسان كيف كنت بعدى قال فى عافية قال ان كنت لم تعص
الله تعالى فانت فى عافية وان كنت قد عصيته فاى دا ادوى من
المعصية ما عوفى من عصى وقال على رضوان الله عليه لما راى زينة
النبط بالعراق فى يوم عيد لهم فقال ما هذا الذى اظهروه قالوا يا امير

المومنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله فيه
فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون ٥
قيل العوافى والانسان ليطغى ان راه استغنى فكذلك اذا
استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى
لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له راس ولم يحم له
جسد ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة
كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد
قيل الحمى بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تعالى
اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا
هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد
اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك منى
رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف يستوحشون لذلك
اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلو
المومن من كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى
روى ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبى عليه
السلام عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل

انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لى فيها وذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال
رجل وما الصداع ما اعرفه فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اليك عنى من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى
هذا وهذا لانه ورد فى الخبر الحمى حظ كل مؤمن من النار
وفى حديث انس وعايشة رضى الله عنهما قيل يا رسول الله هل
يكون مع الشهدا يوم القيمة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت
فى كل يوم عشرين مرة وفى لفظ اخر الذى يذكر ذنوبه فتحزنه
ولا شك فى ان الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوايد المرض
راى جماعة ترك الحيلة فى زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها
لا من حيث راوا التداوى نقصانا وقد يكون نقصانا وقد فعله
عليه السلام **بيان الرد** على من قال ان ترك التداوى افضل
بكل حال فان قال قايل انما فعل رسول الله ذلك ليس لغيره
والا فهو احال الضعفا ودرجة الاقويا توجب التوكل بترك
الدوا فيقال له فينبغى ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة
والفصد عند تبيغ الدم وان قيل ذلك شرط فليكن من شرطه
ان يلدغه العقرب والحية فلا ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن

ذكره

والعقرب تلدغ الظاهر فاى فرق بينهما فان قال وذلك ايضا
شرط التوكل فيقال ينبغى ان لا يزيل لذع العطش بالما ولذع
الجوع بالخبز ولذع البرد بالجبة وهذا لا قايل به ولا فرق
بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسبا

ب

واجرى بها مشيئته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل
ما روى عن عمر رضوان الله عليه وعن الصحابة فى قصد الطاعات
فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به
موتا ذريعا ووبا عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم
لا ندخل على الوبا فنلقى بايدينا الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى
بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله ولا نفر من الموت فنكون
كمن قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر
الموت فرجعوا الى عمر رضى الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع
ولا ندخل على الوبا فقال له المخالفون فى رايه انفر من قدر الله
فقال عمر نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا وقال
ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبان احدهما مخصبة والاخرى
مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى
المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن

ابن عوف ليسأله عن رأيه وكان غايبًا فلما اصبحوا جا عبد الرحمن
فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المومنين شي سمعته
من رسول الله فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول
الله يقول اذا سمعتم بالوبا في ارض فلا تقدموا عليه وان وقع في
ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى
اذ وافق رايه ورجع الناس من الجابية فاذن كيف اتفق الصحابة
كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال
هذا من شروط التوكل فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد
الذي فيه الوبا وسبب الوبا في الطب واظهر طرق التداوي
الفرار من المضر والهوا هو المضر ولم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف
في ان الفرار من المضر منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر فترك
التوكل في امثال هذا مباح وهذا لا يدل على المقصود ولكن
الذي يقدح فيه والعلم عند الله ان الهوا لا يضر من حيث يلاقي
ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان
فيه عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشا اثر فيها
بطول الاستنشاق فلا يظهر الوبا على الظاهر الا بعد طول
التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي

استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس المو هومات
كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضًا
للتوكل ولم يكن منهيًا عنه ولكن صار منهيًا عنه لانه
انضاف اليه امر آخر وهو انه لو رخص للاصحا في الخروج لما
بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم
وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم
الطعام وهم يعجزون عن مباشرة ذلك بانفسهم فيكون ذلك
سعيًا في اهلاكهم تحقيقًا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص
الاصحا منتظر ولو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو
خرجوا لم يكن الخروج قاطعًا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك
الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضًا والمومنون كالجسد
الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى ساير اعضايه فهذا هو
الذي يقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد
على البلد فانه لم يوثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم
نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم
عليهم قوم فربما كان يقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة
ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن

بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار
بالفرار من الزحف لان فيه كسرا للقلوب بقية المسلمين وسعيا
في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى
ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده اكثر ما يسمعه وغلط
الزهاد والعباد في مثل هذا اكثر وانما شرف العلم وفضيلته
لاجل ذلك فان قلت ففي ترك التداوي فضل كما ذكرتم
فلم لم يترك رسول الله التداوي لينال الفضل فنقول فيه
فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على
نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى ما يذكره
الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره
عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع
على ما اودع الله تعالى الادوية من لطايف المنافع حتى صار في
حقه موهوما كالرقية او كان شغله بحاله تمنعه من التداوي
او كان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني
رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة
الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان

حاله يقتضي ان يكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود
الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب
الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما ذكرنا
ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهة له وان
كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود
المال وعدمه فاستوى الحجر والذهب عنده وكان لا يمسك
لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من
امساكه فانه اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزاين
الارض فابى ان يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب
وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدوا جريا
على سنة الله وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر
فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي
لا يضر الا من حيث رؤية الدوا نافعا دون خالق الدوا وهذا قد نهي
عنه ومن حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي
وذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من
المؤمنين لا يرى الدوا نافعا بنفسه بل من حيث ان جعله الله سببا
للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده

حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة او على
المعصية كان له حكمهما وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه
فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون
افضل في بعض الاحوال وان التداوي قد يكون افضل في بعض وان
ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا
من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات
كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين ٥

بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه

اعلم ان كتمان
المرض واخفا الفقر وانواع البلايا من كنوز البر وهو اعالي
المقامات لان الرضى بحكم الله او الصبر على بلائه معاملة بين العبد
وبين الله فكتمانه اسلم من الافات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا
صحت النية فيه والقصد ومقاصد الاظهار ثلثة الاول ان يكون
غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض
الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى
فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن بن المتطبب اوجاعه وكان احمد
بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في
والثاني ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في

المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل
حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به
كما يتحدث بالنعم وقد قال الحسن البصري اذا احمد المريض
الله تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث
ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق
به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي
في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا
ذلك فظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه
وافتقاره مع ما علم فيه من القوة والصرامة وتادب فيه بتاديب
النبي عليه السلام اياه حيث مرض علي فسمعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلا فقال لقد
سالت الله تعالى البلا فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص في
ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله
تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال عن الفقر الا بضرورة ويصير
الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله فان خلا
عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم
ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما

يكون فيه يصنع ويزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك
التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى
الدوا احسن من الاستراحة الى الافشا وقد قال بعضهم من بث لم
يصبر وقيل في معنى قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب
عليه السلام ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان
فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يا رب اتوب
اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا انكت على المريض انينه
في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى
حتى قيل ما اصاب من ايوب الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه
منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا
ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وان
شكى وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية
الشكاية وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه
فلم يدخل عليه احد حتى يبرا منهم الفضيل بن عياض ووهب بن الورد
وبشر بن الحرث وكان فضيل يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال
لا اكره العلة الا لاجل العواد تم كتاب التوحيد والتوكل
بعون الله وحسن توفيقه والحمد لله وحده

البليتر صح

ويليه كتاب المحبة والرضى والشوق لله تعالى
وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات
من كتب احيا علوم الدين تاليف الشيخ
الامام العالم العامل الورع ابي حامد
الغزالي رضي الله عنه وارضاه
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله الطيبين الطاهرين وسلم

كتاب المحبة والرضى

وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات
من كتب احيا علوم الدين للغزالي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي نور قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا وخضرته
وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف
على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته
ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها
بكنه جلاله حتى تاهت في بيدا كبريائه وعظمته فكلما اهتزت
لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما يغبر في وجه العقل وبصيرته
وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا
ايها الايس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول
والصد والوصول غرقى في بحر معرفته محترقا بنار محبته
والصلاة على محمد خاتم الانبيا بكمال نبوته وعلى آله واصحابه
سادة الخلق وائمته وقادة الحق وازمته وسلم كثيرا
اما بعد فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات
والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا

وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس
والرضى واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقد ماتها
كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز
وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة لله عز
وجل فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلما امكانها فقال لا معنى
لها الا المواظبة على طاعة الله واما حقيقة المحبة فمحال الا
مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الشوق والانس
ولذة المناجات وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف
الغطا عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد
الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان انه لا يستحق
المحبة الا الله ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه
الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة
في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان
السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور
الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة
الله تعالى للعبد ثم بيان معنى الانس بالله ثم بيان معنى الانبساط
في الانس ثم القول في معنى الرضى وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته

ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين **بيان شواهد الشرع** في
حب العبد لله تعالى اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى
ولرسوله فرض وكيف تفترض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب
بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم
بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله
تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله
وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله تعالى من شرط الايمان
في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله عليك السلام
ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي
حديث آخر لا يومن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه من اهله
وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال الله
تعالى قل ان كان اباؤكم وابناوكم واخوانكم الآية وانما اجرى
ذلك في معرض التهديد والانكار وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني بحب الله تعالى
ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك قال استعد للفقر فقال
اني احب الله قال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي

صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد
تنطق به فقال النبي عليه السلام انظروا الى هذا الرجل قد
نور الله قلبه لقد رايته بين ابوين يغذوانه باطيب الطعام
والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون وفي الخبر
المشهور ان ابرهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه
لقبض روحه قال هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله تعالى
اليه هل رايت خليلا يكره لقا خليله قال يا ملك الموت الآن
فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله تعالى بكل قلبه فاذا
علم ان الموت سبب اللقا انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب
غيره حتى يلتفت اليه وقال نبينا عليه السلام في دعائه اللهم
ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني اليك واجعل
حبك احب الي من الما البارد وجا اعرابي الى النبي عليه السلام
فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال
ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله تعالى
رسول الله المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين
فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق
من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه

عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف
الدنيا زهد فيها والمومن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن
وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا لا تشغلهم
الجنات وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا
ويروى ان عيسى عليه السلام مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم
وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذى بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف
من النار فقال حق على الله تعالى ان يؤمن الخايف ثم جاوزهم الى
ثلثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذى بلغ بكم
ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون
ثم جاوزهم الى ثلثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم
المرايا من النور فقال ما الذى بلغ بكم ما ارى قالوا نحب الله عز وجل
فقال انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نايم فى الثلج
فقلت ما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن
سرى السقطى قال يدعى الامم يوم القيمة بانبيائهم فيقال يا امة
موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله فانهم ينادون
يا اوليا الله هلموا الى الله تعالى فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال
هرم بن حيان المومن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل عليه

واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة
ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو بجسده فى الدنيا
وبروحه فى الاخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق
الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال
فكيف محبته وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسى
دونه فكيف لطفه وفى بعض الكتب عبدى انا وحقك لك
محب فبحقى عليك كن لى محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال
خردلة من الحب احب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى
ابن معاذ الهى انى مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتنى
اليك وسربلتنى بمعرفتك وامكنتنى من لطفك ونقلتنى فى الاحوال
وقلبتنى فى الاعمال سترا وتوبة وزهدا ورضى وحبا تسقينى من
حياضك وتهملنى فى رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما
طر شاربى ولاح طايرى فكيف انصرف عنك وقد اعتدت هذا منك
صغيرا فلى ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لانى
احبك وكل حبيب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد
ورد فى حب الله تعالى من الاخبار والاثار ما لا يدخل فى حصر حاصر
وذلك امر ظاهر وانما الغموض فى تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة
في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في
تحقيق معانيها في حق الله عز وجل فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا
يتصور معرفة الا بعد ادراك اذ لا يحب الانسان ما لا يعرفه
ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي
المدرك ثم المدركات في انقسامها الى ما يوافق طبع المدرك ويلايمه
ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويولمه والى ما لا يوثر فيه بالذاذ
وايلام فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما
في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب
المولم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ
عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى
كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة منه فالحب عبارة عن ميل الطبع
الى الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة
عن نفرة الطبع عن المولم المتعب فاذا قوي صار مقتا فهذا اصل في
حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته **الاصل الثاني** ان الحب لما كان
تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات

والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحدة
منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة
ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين
في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة
المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم
في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في
اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملتذة
كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وجعلت قرة عيني في الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا
حظ للسمع والعين فيه بل للشم فقط وسمى النسا محبوبات ولا حظ
فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق وسمى الصلاة قرة عين
وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس
الخمس بل حس سادس مظنته لا يدركه الا من كان له قلب ولذات
الحواس الخمس يشارك فيها البهايم الانسان فان كان الحب مقصورا
على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس
ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما

يميزه به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور
او بالقلب او بما يشاء من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات
فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا
من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة
للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من المعاني
الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ
فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب
الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر اذن حب
الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك
الحواس اصلا

الام

الاصل الثالث ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه
ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته
لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور
ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك
ذاته والحق ان ذلك متصور موجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها
وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى احبته
لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه
لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملاءمة من نفسه ودوام

وجوده واي شيء اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه
فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل
لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت
بل لو اختطف من غير الم وامیت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض
به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا بمقاساة
الم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء
فان احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء
والهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام
الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا لان الناقص فاقد للكمال
والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة
اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما
انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان
دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة
الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذن المحبوب الاول للانسان
ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقائه
فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام
الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام

الوجود وكماله وكذلك سائر الاسباب فالانسان يحب هذه
الاشيا لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود
وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل
يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في
بقا نسله نوع بقا له فلفرط حبه لبقا نفسه يحب بقا من هو
قايم مقامه وكان جزء منه لما عجز عن الطمع في بقا نفسه ابدا نعم
لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله اثر بقا
نفسه على بقا ولده لان بقا ولده يشبه بقاه من وجه وليس هو
بقاه المحقق وكذلك لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه
فانه يرى نفسه كثيرا قويا بسببهم متجملا بمكانهم فان العشيرة
والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه
محبوب بالطبع لا محالة فاذن المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته
ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب

السبب الثاني الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد
جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اسا اليها وقال
رسول الله اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشارة الى ان
حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة

لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب الانسان الاجنبي الذي
لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب
الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة وساير الاسباب
الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي
بها يتهيا الوجود الا ان الفرق بينه وبين اعضا الانسان
محبوبة لان فيها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما
المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له
كالطبيب الذي قد يكون سببا في دوام صحة الاعضا ففرق بين
حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة
مطلوبة لذاتها والطبيب مطلوب لا لذاته بل لانه سبب الصحة
وكذا العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم
المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة
ولكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة
الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد
يرجع الى محبة الانسان نفسه وكان من احب المحسن لاحسانه فما احب
ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب
مع بقا ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة

والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه **السبب الثالث**
ان يحب الشي لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل ذاته عين
حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه
وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك
الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين
اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها فلا تظنن ان حب
الصور الجميلة لا يتصور الا لقضاء الشهوة فان قضاء الشهوة
لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال
ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والماء
الجاري والخضرة محبوبة لا لشرب الماء وتوكل الخضرة او ينال منها
حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ
النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة
النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عنه الغموم
بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر وهذه الاسباب ملذة وكل
لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد
ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فاذا ثبت ان الله جميل كان لا

محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال
الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس
في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى
للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون
البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف
من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الانسان حسن
الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا
ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه
لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطا ظاهر فان الحسن
ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة
وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت
حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء
حسن فاي معنى لحسن الصوت والخط وساير الاشيا ان لم يكن
الحسن الا في الصور ومعنى الحسن ان العين تستلذ بالنظر الى
الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة
وما من شي من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى

الحسن الذي يشترك فيه هذه الاشيا فلا بد من البحث عنه
وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعامله الاطناب فيه فنصرح
بالحق ونقول كل شي فجماله وحسنه في ان يحضر كماله
اللايق به الممكن له فاذا كانت جميع كمالاته الممكنه حاضره
فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال
بقدر ما حضر والفرس الحسن هو الذي جمع ما يليق بالفرس من
هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه
والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها
واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شي كمال يليق به
وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شي في كماله الذي يليق به فلا
يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن
به الصوت ولا يحسن الاواني بما يحسن به الثياب وكذلك ساير
الاشيا فان قلت ان هذه الاشيا وان لم يكن تدرك جميعها بحس
البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها
فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر
حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك من غير المدرك بالحواس
فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات يقال هذا خلق

حسن وهذا علم حسن وهذه اخلاق جميله وانما الاخلاق
الجميله يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعه والتقوى
والكرم والمروة وساير خلال الخير وشي من هذه الصفات لا
تدرك بالحواس الخمس بل تدرك بنور البصيرة الباطنة وكل
هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع
عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة
على حب الانبيا عليهم السلام وعلى حب الصحابة مع انهم لم
يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل ابي حنيفة والشافعي
ومالك وغيرهم حتى ان الرجل يجاوز حبه لصاحب مذهبه حد
العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله في نصرة ارباب مذهبه
والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه
فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب
الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده لما
يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله افراط الحب هو لصورته
الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت
ترابا مع التراب وانما حبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى
وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم

الشرع ونشر هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا
يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها
وكذلك من يحب ابا بكر الصديق ويفضله على غيره او يحب عليا
ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم
الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره
فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده
واطرافه اذ كل ذلك قد زال وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به
صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة
فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصورة
وتلك الصفات يرجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقايق
الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال
الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس
ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة فليس للجزء
الذي لا يتجزا صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله
فاذن الجمال موجودا في السير ولو صدرت السيرة الجميلة عن
غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة
الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضايل الشريفة ويرجع جملتها

الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس
حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غايبا او حاضرا
حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا الاطناب في وصفه بالشجاعة
والكرم والعلم وساير الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم
يتمالك في نفسه ولم يقدر على ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة
وبغض ابي جهل وبغض ابليس الا بالاطناب في وصف المحاسن
والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف لنا الناس حاتما بالسخا
ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك
عن نظر الى صورة محسوسة ولا على حظ يناله المحب منهم بل اذا
حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان
وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه
الى المحبين لبعد المزار وتنائي الدار فاذن حب الانسان ليس مقصورا
على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي
قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصور
ظاهرة وباطنة والجمال يشملهما ويدرك الصور الظاهرة
بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة
الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت

البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني
الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا
مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء
لجمال صورته الباطنة **السبب الخامس** المناسبة الخفية بين
المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال
او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال عليه السلام فما تعارف
منها ائتلف وقد حققنا ذلك في كتاب اداب الصحبة عند ذكر
الحب في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجائب اسباب الحب فاذن
رجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه
وكماله وبقائه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده
ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا الى
الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان
من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية
في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب
لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل
العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا
لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب

قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى
درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين ان
هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى
فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله تعالى **بيان** ان المستحق للمحبة
هو الله تعالى وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله
فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى فان الرسول محمود لانه
عين حب الله وكذا حب العلماء والاتقياء لان حب المحبوب محبوب ورسول
المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل
فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله
تعالى فلا يستحق المحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب
الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا
توجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها
في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما بان ذلك
انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله
تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احد غير الله تعالى
فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله
ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله

وهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية
المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه
لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده
من الله تعالى وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له
وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة
اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته
لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله
عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء
وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله بالتكميل لخلقته وبالجملة
فليس في الوجود شيء له قوام بنفسه الا الحي القيوم الذي هو قايم
بذاته وكل ما سواه قايم به فاذن حب العارف ذاته ووجود ذاته
مستعار من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه
خالقا موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان
كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم
بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن رحمه الله
من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها ومن احب المنار بعد
منها فكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به

قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل
فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة
الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة
الى الشمس فان الكل من اثار قدرته ووجود الظل تابع لوجوده
كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا
المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور
اثر الشمس وفايض منها وموجود بها وهو خطا محض اذ انكشف
لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور
حاصل بقدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس
والاجسام الكثيفة كما ان الشمس وعينها وشكلها وصورتها
ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم
فلا يطلب فيه الحقايق فاذن ان كان حب الانسان نفسه ضروريا
فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره
وباطنه وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك
ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن
ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر على شهواته ومحسوساته
وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهايم في التنعم به والاتساع

له دون عالم الملكوت الذى لا يطا ارضه الا من يضرب الى
شبه الملائكة فينطرفه بقدر قربه فى الصفات من الملائكة
ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى عالم البهائم واما السبب الثانى
وهو حبه من احسن اليه فواساه بماله وامده بمعونته ولاطفه
بكلامه وانتدب لنصرته وقمع اعدائه وقام بدفع شر الاشرار
عنه وانتهض وسيله الى جميع حظوظه واغراضه فى نفسه واولاده
واقاربه فانه محبوب لا محاله عنده وهذا بعينه يقتضى ان لا
يحب الا الله فانه لو عرف حق المعرفه لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى
فقط واما انواع احسانه الى كل عبد فلست اعدها اذ
ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها وقد اشرنا منه فى كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على
بيان ان الاحسان من الناس لا يتصور الا بالمجاز وانما المحسن هو
الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن احسن اليك بجميع خزائنه ومكنك
منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه
وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال
وبداعيته الباعثة على صرف المال اليك فمن الذى انعم بخلقه وخلق
ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذى حببك اليه

وصرف وجهه اليك والقى فى نفسه ان صلاح دينه ودنياه
فى الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبه من ماله
ومهما سلط الله عليه الدواعى وقرر فى نفسه ان صلاح دينه
او دنياه فى ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا فى التسليم
لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذى اضطره وسخره لك
وسلط الدواعى الباعثة والمرهقة الى الفعل واما يده فواسطة
يصل بها احسان الله تعالى اليك وصاحب اليد مضطر فى ذلك
اضطرار مجرى الماء فى جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته
من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا
بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه
اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا
لغرض له فى البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة
والاستسخار والثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب
قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة كما ان الانسان لا يلقى ماله فى البحر
اذ لا غرض فيه فلا يلقيه فى يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض
هو مطلوبه ومقصوده واما انت فلست مقصوده بل يدك آلة
له فى القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء او الشكر او الثواب

بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى
غرض نفسه فهو اذن محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من
ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك
الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك اصلا والبتة فهو اذا غير
مستحق للشكر والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط
الله تعالى الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار
مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من
خلع عليه فلا قدرة له على المخالفة لانه من جهة الامير مضطر
الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه
الامير ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه
والقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك
والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو اوفر عنده مما بذله فكذلك
الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثنا او عوضا اخر وليس من
شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اعواض يستحقر
الاعيان والاموال بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو
بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير
الله وهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض

يرجع اليه فانه تعالى عن الاعراض فلفظ الجود والاحسان
في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع
الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول
والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف
الا الله اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة
وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل
بمعنى الاحسان وحقيقته واما السبب الثالث وهو حب
المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود
في الطباع فاذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف
بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك
خبر ملك اخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد
عنك فانك تجد في نفسك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول
وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول
وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوصل الى بلادهما فهذا حب
المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا
ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث
يتعلق منه بسبب فان الله تعالى هو المحسن الى الكافة المتفضل على جميع

اصناف الخلايق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء
والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم
بخلق الاسباب التي هي مظان حاجاتهم وان لم يكن في مظان
الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوايد التي هي في مظنة
زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري
من الاعضا الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين
واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين
وتكون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة
ومثال الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الما والغذا
ومثال الحاجة الدوا واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوايد
خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذايذ
الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة
وهذه الاقسام الثلثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل
لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذن
هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من
حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق
الاحسان وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغير جهل

محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى
واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا
لحظ ينال منه ورا ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول
في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة
بعين الراس والى جمال الصورة الباطنة نعني المدركة بعين القلب ونور
البصيرة فالاول يدركه الصبيان والبهايم والثاني يختص بدركه
ارباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة
الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند كل مدرك الجمال وان
كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهد
حب الانبيا والاوليا والعلما وذوي المكارم السنية والاخلاق
الرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وساير الاعضا
وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك
الحس اثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال
القلب اليه واحبه فمن يحب رسول الله او الصديق او ابا حنيفة او الشا
فعي
فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن
افعالهم بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال
اذ الافعال امارة صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف

وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف
له من هذه الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها
عند البحث الى العلم والقدرة ثم كل ما كان المعلوم اشرف واتم
حالا وعظمة كان العلم اشرف واجل وكذا المقدور كلما كان
اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف
قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم احسن العلوم
واشرفها معرفة الله تعالى وكذلك كل ما يقاربه ويختص به
ويحيط به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا الجمال صفات الصديقين
الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها علمهم بالله
وملائكته وكتبه ورسله وشرايع انبيائه والثاني قدرتهم على
اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث
تنزههم عن الرذايل والخبايث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن
الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والخلفاء
والعلماء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه
الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والآخرين
من علم الله الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم

وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء
على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم
يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
والقدر اليسير الذي علمه الخلايق فبتعليمه علموه كما قال تعالى
خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا
محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان
يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى
علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب
بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو
عن علم ما بتفاصيل معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم
الخلايق اكثر من التفاوت بين اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل
الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان
ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلايق
كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق
متناهية واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال
وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان
ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد وغيرهما من الشجعان وقدرتهم

واستيلاها على الاقران فيصادف في نفسه اهتزازا وفرحا
وارتياحا خاصا وربما لمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهده ويورث
ذلك في القلب حبا خاصا وودا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب
الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة
واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبائث
النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى
قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض
اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه
موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ
عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض
ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة
متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات
وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها
ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها
وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه
بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو
سلط بعوضة على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكته

فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك
الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن له
جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله اياه في جزء من الارض والارض
كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي تحظى
بها الناس غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله
وتمكينه فيستحيل ان يحب عبد من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكينه
واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر السموات
مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات
في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه
ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا
فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من آثار قدرته فله
الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور
ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا
واما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث
فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصورة الباطنة
في الصورة الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب

ومقتضيات

والخبايث فلا يتصور كمال التقديس الا للواحد الحق الملك
القدوس ذي الجلال والاكرام فاما كل مخلوق فلا يخلو عن
نقص ونقايص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا عين مس
العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما
اعطاه وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال
اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقايما بغيره وذلك محال
في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب
وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن النقايص يطول وهو من
اسرار علم المكاشفة فلا نطول بذكره فهذا الوصف ان كان جمالا
محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره في نفسه لا يكون مطلقا
بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا كما ان للفرس كمالا بالاضافة
الى الحمار وللانسان كمال بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل
للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذن الجميل محبوب
والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد
الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشا
ويفعل ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه العالم الذي لا يعزب عن
علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة

قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب
القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا آخر
لبقايه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته
القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار الارض
والسموات خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت
المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبها والجمال
والقدرة والكمال الذي يتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه
الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته
ومنتهى نبوة الانبيا الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبيا
عليه السلام لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال
سيد الصديقين سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا
بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر امكان حب الله تحقيقا
ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحا
ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله موصوفا بها او ينكر كون
الجمال والكمال والبها والعظمة محبوبا بالطبع عند من ادركه
فسبحان من احتجب عن بصاير العميان غيرة على جلاله وجماله
وكماله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار

الحجاب مبعدون وترك الخاسرين فى ظلمات العمى يتيهون وفى
متسارح المحسوسات وشهوات البهايم يترددون يعلمون
ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل
اكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان
لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام ان اود الاوداء الى من عبدنى لغير نوال ولكن
ليعطى الربوبية حقها وفى الزبور من اظلم ممن عبدنى لجنة او نار لو
لم اخلق جنة ولا نارا لم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلم
على طايفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة
فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك
فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اوليا الله تعالى
حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم انى لاستحى ان اعبده
للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير
السوء ان لم يعط لم يعمل وفى الخبر لا يكون احدكم كالاجير السوء ان لم
يعط اجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل واما السبب
الخامس فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشى منجذب اليه
والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبى يألف الصبى والكبير

يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه فانس العالم
بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه
بالفلاح وهذا امر تشهد له التجربة وتشهد له الاخبار والآثار
د
والتجربة كما استقصيناه فى باب الاخوة فى الله فى كتاب آداب
الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمنا
شبهة
قد تكون فى معنى ظاهر كمناسبة الصبى الصبى فى معنى الصبى وقد تكون
خفيا لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من
غير ملاحظة جمال او طمع فى مال او غيره كما اشار اليه عليه
السلام اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما
تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين
وهذا السبب انما يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع
الى المشابهة فى الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان
يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء
الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك
والذى يذكر هو قرب العبد من الله فى الصفات التى امر فيها
بالاقتدا والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله
وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من صفات الالهية من

العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة
على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل
الى غير ذلك من المكارم الشريفة وكل ذلك يقرب الى الله تعالى
لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما لا يجوز ان يسطر
في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الادمي وهي التي يومي
اليها قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي
اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق ويشير اليه
قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وبقوله تعالى انا جعلناك
خليفة في الارض اذ لم يستحق ادم خلافة الله الا بتلك المناسبة
واليه يومي قوله عليه السلام ان الله خلق ادم على صورته حتى ظن
القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس
فشبهوا وجسموا وصوروا الله تعالى رب العالمين عما يقول الجاهلون
علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى مرضت فلم تعدني
فقال وكيف ذلك فقال مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني
عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد
احكام الفرايض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب الي العبد بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي

يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد
تحزب الناس الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين
مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول
حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى عليه السلام
فقالوا هو الاله وقال اخرون تدرع الناسوت باللاهوت
وقال اخرون اتحد به واما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه
والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة
السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المكان
كان ينطق اذا غلبه الوجد في قول القايل

لا زلت انزل في ودادك منزلا تتحير الالباب دون نزوله

فلم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب قد قطعت حتى تشققت قدماه
وتورمتا ومات من ذلك وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها
وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا فهذا هو المعلوم من
اسباب الحب واقواها واعزها وابعدها وجملة ذلك متظاهرة
في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا في ادناها
فكان المعقول المقبول عند ذوي البصاير حب الله تعالى فقط
كما ان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله فقط ثم كل من يحب

من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته
اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض عن كماله
ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه
فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه
الاوصاف التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في
ذلك وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم
لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما
لا يتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة
استحقاقا لا يساهم فيه اصلا ه **بيان** ان اجل اللذات
واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه
لا يجوز ان يوثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة **اعلم**
بان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من
القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى
طبعها الذي خلقت له فاذن هذه الغرايز ما ركزت في الانسان
عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها
بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم
لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة

شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذا الذي به القوام فلا
جرم لذتها في نيل الغذا الذي هو مقتضى طبعها وكذلك
لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والاشتمام
فلا تخلو غريزة من هذه الغرايز عن اله ولذة بالاضافة الى
مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله
تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
وقد يسمى العقل وقد يسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور
الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات
مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان
المعاني تطلب من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق
لساير اجزاء البدن بصفة انها تدرك المعاني التي ليست متخيلة
ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق قديم
مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا
بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة
والمناظرة وقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية
والا فالصفة التي فارق الانسان بها البهايم وبها يدرك معرفة
الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة

خلقت لتعلم به حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفه
والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى ساير الغرايز هو لذتها
وليس يخفى ان في العلم والمعرفه لذه حتى ان الذي ينسب الى
العلم والمعرفه ولو في شي خسيس يفرح به والذي ينسب
الى الجهل ولو في شي حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد
يصبر عن التحدث بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيره فالعالم
باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم فينطلق
لسانه بذكر ما يعلم وكل ذلك لفرط لذه العلم وما يستشعره
من كمال ذاته فان العلم من اخص صفات الربوبيه وهي منتهى
الكمال ولهذا يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكا وغزاره
العلم لانه مستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه
فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذه العلم بالحراثه والخياطه
كلذه العلم بسياسه الملك وتدبير امر الخلق ولا لذه العلم بالنحو
والشعر كلذه العلم بالله وصفاته وملايكته وملكوت
السموات والارض بل لذه العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم
بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس
ويخبر يجد لذه له وان جهله تقاضاه طبعه ان يتفحص عنه

فان علم بواطن احوال امير البلد واسرار تدبيره في رياسته
كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح
او حايك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم
عليه في امر الوزاره فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار
الرييس فان كان خبيرا بباطن احوال الملك السلطان الذي
هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه
بباطن امور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث
عنه اشد وحبه اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان
ان الذ المعارف واشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في
المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم
به الذ العلوم لا محاله واشرفها واطيبها وليت شعري هل
في الوجود شي اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق
الاشياء كلها ومكملها ومرتبها ومبديها ومعيدها ومدبرها
ومزينها وهل يتصور ان يكون حضره في الملك والكمال والجمال
والبهاء والجلال اعظم من الحضره الربانيه التي لا يحيط بمبادي
جلالها وعجايب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك
في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبيه

والعلم بترتب الامور الالهيه المحيطه بكل الموجودات هو
اعلى انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها
واحلى ما استشعرت به النفوس عند الاتصاف بكمالها وجمالها
واجدر بما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا
تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله وصفاته وافعاله
وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين
فينبغي ان يعرف ان لذه المعرفه اقوى من ساير اللذات
اعني لذه الشهوه والغضب ولذه ساير الحواس الخمس فان
اللذه مختلفه بالنوع اولا لمخالفه لذه الوقاع لذه السماع ولذه
المعرفه لذه الرياسه وهي مختلفه بالضعف والقوه لمخالفه
لذه الشبق المغتلم من الجماع للذه الفاتر الشهوه وكمخالفه لذه
النظر الى الوجه الجميل الفايق الجمال للذه النظر الى ما دونه
من الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان تكون موثره على غيرها
فان المخير بين النظر الى صوره جميله والتمتع بمشاهدتها وبين
استنشاق روايح طيبه اذا اختار النظر الى الصوره الجميله
علم انها عنده الذ من الروايح الطيبه وكذلك اذا احضر الطعام
وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك

الاكل فيعلم ان لذه الغلب في الشطرنج اقوى عنده من
لذه الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات
فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهره كلذات الحواس
الخمس والى باطنه كلذه الرياسه والغلبه والكرامه والعلم
وغيره اذ ليست هذه اللذه للعين ولا للانف ولا للاذن
ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنه اغلب على ذوي الكمال
من اللذات الظاهره فلو خير الرجل بين لذه الدجاج المسمن
واللوزينج وبين لذه الرياسه وقهر الاعداء ونيل درجة
الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد
البهيميه اختار اللحم والحلاوه وان كان علي الهمة كامل
العقل اختار الرياسه وهان عليه الجوع والصبر عن ضروره
اياما كثيره فاختياره الرياسه يدل على انها عنده الذ من
المطعومات البهيميه نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه
الباطنه بعد كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنه كالمعتوه
لا يبعد ان يوثر لذه المطعومات على لذه الرياسه وكما ان
لذه الرياسه والكرامه اغلب على من جاوز نقصان الصبي
والعته فلذه معرفه الله تعالى ومطالعه جمال حضره الربوبيه

والنظر الى اسرار امور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى
اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال لا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الان لا
يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يوثر التبتل
والتفكر والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك
الرياسة ويستحقر الخلق الذين يراسهم لعلمه بفناء رياسته
وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي
لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد
من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها
انهم قادرون عليها فليست تعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله
تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى
عليين الى اسفل السافلين وانها خالية من المزاحمات والمكدرات
متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتها واما عرضها
من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات
فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها
السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع

من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير
مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت
اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي
هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير احوالها ويقطع
شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية فلا تظن ان هذا مخصوص بالمقتول
في المعركة فان للعارف بكل نفس الف شهيد وفي الخبر ان
الشهيد يتمنى في الاخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى
لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا
علماء لما يرون من علو درجة العلماء فاذن جميع اقطار
ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوا منه حيث
يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو
في مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض
وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا
الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع

نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله لا يدخل في
الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة
اقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه
اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا معتوه وان لذة المحسوسات
والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يوثرون
الرياسة فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت
سمواته واسرار ملكوته اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص
بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات
ذلك من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه
لا يمكن رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان
ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي
بها يدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة
شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان
يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب
معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند
انكشاف المشكلات في انحلال الشبهات التي قوي حرصهم
على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير

غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في
معرفة الله تعالى وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء
اليسير كانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح
ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة
فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه
قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى
الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولقد قال ابو سليمان الداراني
ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة
فكيف تشغلهم الدنيا عن الله وكذلك قال بعض اخوان معروف
له اخبرني يا ابا محفوظ اي شيء هاجك الى العبادة والانقطاع
عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت
فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف
النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا هذا كله
بيده ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه
معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت
الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه ورأى
بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار

وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعه بين يدي الله تعالى
ياكلان ويشربان فقلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل
والشرب فاعطاني النظر اليه ، وعن علي بن الموفق قال رايت
في النوم كاني ادخلت الجنه فرايت رجلا قاعدا على مايده وملكان
عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورجلا
قايما على باب الجنه يتصفح وجوه فيدخل بعضا ويرد بعضا قال
ثم جاوزتهما الى حضرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد
شخص ببصره ينظر الى الله لا يطرف فقلت لرضوان من هذا
فقال معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى
جنته بل حبا لله فاباحه الله تعالى النظر اليه الى يوم القيمه ،
وذكر ان الاخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل ، وكذلك قال
ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه
ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه ، وقال
الثوري لرابعه ما حقيقه ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره
ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السو بل عبدته حبا له وشوقا
اليه ، وقالت في معنى المحبة نظما ٥

، احبك حبين حب الهوى وحب لانك اهل لذاكا ،

، فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا ،
، واما الذي انت اهل له فكشفك للحجب حتى اراكا ،
، فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ،

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه
عليها بحظوظه العاجله وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله
الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذه مطالعة
جمال الربوبيه هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وقد يتعجل بعض
هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفا قلبه الى الغايه ، وكذلك
قال بعضهم اني لاقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي
من الجبال لان النداء يكون من وراء الحجاب وهل رايت جليسا
ينادي جليسه ، وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغايه رماه
الخلق بالحجاره اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما
يقوله جنونا او كفرا وقصد الاولياء والعارفين كلهم
وصله ولقاوه فقط وهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي
لها عنها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها فصار

القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه
ولو عرض عليه نعيم لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية
التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب
المحسوسات كيف يومن بلذة النظر الى وجه الله تعالى
وما له صورة ولا شكل وأي او عد الله تعالى به عباده وذكر
انه اعظم النعم بل من عرف الله تعالى عرف ان اللذات المعرفة
بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة ٥
كما قال بعضهم ٥

كانت لقلبي اهواء مفرقة واستجمعت اذ راتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وكذلك قال بعضهم ٥

وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته

وما اراد بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى فقط
ومثل اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول
حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو
حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشيا ثم يظهر بعد لذة

الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب
ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النسا فيترك بها جميع ما
قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر
وهي آخر لذات الدنيا واغلبها واقواها كما قال تعالى اعلموا
انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الآية ثم بعد
هذا يظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة
افعاله ويستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى
وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النسا
والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب
العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي
يضحك على من ترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب
الرياسة فكذلك الروساء يضحكون على من ترك الرياسة
ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ٥

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا
اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة
والاقسام المتلونة المشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى

ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم
والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غض بصره وجد
صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين
وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين
الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما
الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صار
بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت
الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رؤي عند تمام الضوء فانه
لا يفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذن
الخيال هو اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال
وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف
لا لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف
في الجبهة او الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت
هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات لا تتشكل في الخيال
ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احديها اولى والثاني استكمال
لها وبين الثانية والاولى من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح
ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول

مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت
رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان
تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين
البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم يرتفع
كان الادراك الحاصل بمجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة
الله ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات
وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة
واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها
بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب
كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم وكذلك قال تعالى لموسى
لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى الله تعالى ليلة المعراج
فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير
غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم
عليه الخبث والصدا فصار كالمرآة التي قد فسدت بطول تراكم
الخبث على جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم
المحجوبون عن ربهم الاباد ونعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته

الدين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكيه والتصقيل فيعرض
على النار عرضاً تقمع منه الخبث الذي هو مدنس به ويكون
العرض على النار بقدر الحاجه الى التزكيه واقلها لحظه خفيفه
واقصاها في حق المومنين الى سبعه الاف سنه كما وردت به
الاخبار ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبره وكدوره
ما وان قلت وكذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان
على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها
جثيا فكل نفس مستيقنه للورود على النار وغير مستيقنه للصدر
عنها فاذا اكمل الله تزكيتها وتطهيرها وبلغ الكتاب اجله ووقع
الفراغ من جمله ما وعد الشرع من العرض والحساب وغيره
ووافى استحقاق الجنه وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه
احداً من خلقه فانه واقع بعد القيمه ووقت القيمه مجهول فعند
ذلك تستعد لصفايه ونقايه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه
قتره ولا غبره لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجلياً
يكون انكشاف تجليه بالاضافه الى ما علمه كانكشاف تجلي
المرئيات بالاضافه الى ما تخيله وهذه المشاهده والتجلي هي
التي تسمى رويه فاذن الرويه حق بشرط ان لا يفهم من الرويه

استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهه ومكان فان
ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علواً كبيراً بل كما عرفته في
الدنيا معرفه حقيقيه تامه من غير تخييل وتصور وتقدير شكل
وصوره فتراه في الاخره كذلك بل اقول المعرفه الحاصله في
الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب
مشاهده ولا يكون بين المشاهده في الاخره والمعلوم في الدنيا
فرق الا من حيث زياده الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال
في استكمال الخيال بالرويه فاذا لم يكن في معرفه الله تعالى
اثبات صوره وجهه فلا يكون في استكمال تلك المعرفه بعينها
وترقيها في الوضوح الى غايه الكشف ايضا جهه وصوره لانها
هي بعينها الا في زياده الكشف كما ان الصوره المرئيه هي المتخيله
بعينها الا في زياده الكشف واليه الاشاره بقوله تعالى يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام
النور لا يوثر الا في زياده الكشف ولهذا لا يفوز بدرجه
النظر والرويه الا العارفون في الدنيا لان المعرفه هي البذر الذي
ينقلب في الاخره مشاهده كما تنقلب النواه شجره والحب زرعا
ومن لا نواه في ارضه فكيف له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد

الزرع فكذلك من لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الاخره
ولما كانت المعرفه على درجات متفاوته كان التجلي ايضا على
درجات متفاوته واختلاف التجلي بالاضافه الى اختلاف
المعارف كلها كاختلاف النبات بالاضافه الى اختلاف البذور
اذ تختلف لا محاله بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها
ولذلك قال عليه السلام ان الله تعالى يتجلى للناس عامه ولابي بكر
خاصه فلا ينبغي ان تظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من
لذة النظر والمشاهده ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره اذ
كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بسر وقر
بقلبه فضل لا محاله بتجلي انفرد به وكما انك ترى في الدنيا
من يوثر لذة الرياسه على المطعوم والمنكوح وترى من يوثر لذة
العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض وساير
الامور الالهيه على الرياسه وعلى المطعوم والمشروب جميعا
فكذلك يكون في الاخره قوم يوثرون لذة النظر الى وجه
الله تعالى على نعيم الجنه اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح
وهولاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة
العلم والمعرفه والاطلاع على اسرار الربوبيه على لذة المطعوم

والمشروب وساير ما الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعه
العدويه ما تقولين في الجنه فقالت الجار ثم الدار فبينت انه
ليس في قلبها التفات الى الجنه بل الى رب الجنه وكل من لا
تعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الاخره وكل من لم يجد
لذة المعرفه في الدنيا لم يجد لذة النظر في الاخره اذ ليس يستانف
لاحد في الاخره ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد احد الا ما زرع
ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه
فاصحبه من المعرفه هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا انه ينقلب
مشاهده بكشف الغطا فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة
العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رويه صورته فان
ذلك هو منتهى لذته وانما طيبه الجنه ان لكل واحد فيها ما
يشتهي فمن لا يشتهي الا لذة لقا الله تعالى فلا لذه له في غيره بل
ربما يتاذى به فاذن نعيم الجنه بقدر حب الله تعالى وحب الله
تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفه التي عبر
عنها بالايمان فان قلت فلذة الرويه ان كانت لها نسبه الى
لذة المعرفه فهي قليله وان كانت اضعافها لان لذة المعرفه في
الدنيا ضعيفه فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوه الى ان

يستحقر سائر لذات الجنه فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذه
المعرفه صدر الخلو عن المعرفه فمن خلا عن المعرفه كيف يدرك
لذتها وان انطوى على معرفه ضعيفه وقلبه مشحون بعلايق
الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وذكرهم ومناجاتهم
لله تعالى لذات ان عرضت عليهم الجنه في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا
بها لذه الجنه ثم هذه اللذه مع كمالها لا نسبه لها اصلا الى
نسبه اللقا والمشاهده كما لا نسبه للذه خيال المعشوق الى رويته
ولا للذه استنشاق روايح الاطعمه الشهيه الى ذوقها ولا للذه
اللمس باليد الى لذه الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن
الا بضرب مثال فنقول لذه النظر الى وجه المعشوق في الدنيا
تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان
اللذه الى الاجمل اكمل لا محاله الثاني كمال قوه الحب والشهوه
والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته
وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برويه المعشوق
في ظلمه او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه
على قرب من غير ستر وعند كمال الضو ولا ادراك لذه المضاجعه
مع ثوب حايل كادراكه مع التجرد والرابع اندفاع العوايق المشوشه

والالام الشاغله للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد
للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخايف المذعور او المريض المتالم
او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق
ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع
انكشاف كنه صورته في حال اجتماع عقارب وزنابير توذيه
وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحاله لا يخلو عن لذه ما من
مشاهده معشوقه فلو طرات على الفجاه حاله انهتك بها
الستر واشرق فيها الضو واندفع عنه الموذيات وبقي سليما فارغا
وهجمت عليه الشهوه القويه والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات
فانظر كيف تتضاعف اللذه حتى لا يبقى للاولى اليها نسبه يعتد
بها فكذلك فافهم نسبه لذه النظر الى لذه المعرفه والستر الرقيق
مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير الشهوات
المتسلطه على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم
والحزن وضعف الشهوه والحب مثال لقصور النفس في الدنيا
ونقصانها عن الشوق الى الملا الاعلا والتفاتها الى اسفل السافلين
وهو مثال قصور الصبي عن ملاحظه لذه الرياسه والتفاته الى
اللعب بالعصفور فالعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو

عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البته نعم قد تضعف
هذه العوايق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح في جمال
المعرفه ما يبهت العقل ويعظم لذته بحيث يكاد ينفطر لعظمته
ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقل ما يدوم بل يعرض
من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه
ضروره دايمه في هذه الحياة الفانيه فلا تزال هذه اللذه تنغصه
الى الموت وانما الحياة الطيبه بعد الموت وانما العيش عيش الاخره
وان الدار الاخره لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى
هذه الرتبه فانه يحب الله فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث
ينتظر زياده استكمال في المعرفه فان المعرفه كالبذر وبحر
المعرفه لا ساحل له والاحاطه بكنه جلال الله محال وكلما
كثرت المعرفه بالله وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته
وقويت كثرت النعم في الاخره وعظمت كما انه كلما كثر البذر
وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في
الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الاخره
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول
العمر في طاعه الله تعالى لان المعرفه انما تكمل وتكثر وتتسع في

العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبه على المجاهده والانقطاع
عن علايق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محاله
فمن احب الموت احبه لانه راى نفسه واقفا في المعرفه بالغا الى
منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يومل مزيد
معرفه تحصل له بطول العمر وراى نفسه مقصرا عما تحتمله
قوته لو عمر فهذا سبب كراهيه الموت وحبه عند اهل المعرفه
واما ساير الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت
احبوا البقا وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران
مصدره الجهل والغفله فالجهل والغفله مغرس كل شقاوه والعلم
والمعرفه اساس كل سعاده فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبه
ومعنى العشق فانه المحبه القويه المفرطه ومعنى لذه المعرفه ومعنى
الرويه ومعنى لذه الرويه ومعنى كونها الذ من ساير اللذات عند ذوي
الكمال وان لم تكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم تكن
الرياسه الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه
الرويه محلها القلب او العين في الاخره فاعلم ان الناس قد اختلفوا
في ذلك وارباب البصاير لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون
فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن المبقله ومن يشتهي رويه

معشوقه فيشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رويته تحلق
في عينه او في جبهته بل يقصد الرويه ولذاتها سوا كان بالعين
او غيره فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق
فيه ان القدرة الازليه واسعه فلا يجوز ان يحكم عليها بالقصور
عن احد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الاخرة من
الجايزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنه والجماعة
وشواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرويه
والنظر وساير الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره
اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم ان اسعد الخلق حالا في الاخرة اقواهم
حبا لله تعالى وان الاخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك
سعادة لقايه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول
شوقه ويمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد من غير منغص
ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا
ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة
وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب لا ينفك
عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب

واستيلا وحتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك
عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علايق
الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء
الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الما وما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله تعالى بكل
قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاويه من قلبه مشغوله بغيره فبقدر
ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى وبقدر ما يبقى من
الما في الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد
الاشارة بقوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وبقوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا
الله اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود
فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محبوب فهو مقيد
بما يحبه ولذلك قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال
عليه السلام ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال عليه
السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنه ومعنى الاخلاص
ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب
قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها

مانعه له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم
على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه
شوقه وتمادى عنه حبسه فخلى عن السجن ومكن من المحبوب
وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى
في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والعقار
والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرح بطيب اصوات
الطيور وروح نسيم الاسحار متلفت الى نعيم الدنيا ومتعرض
لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما انس بالدنيا فينقص
انسه بالله ولا يوتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره في
الاخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا
ويبعد من المغرب ولا يطيب قلب امراته الا ويضيق قلب ضرتها
والدنيا والاخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف
ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل
قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر
والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجا وما ذكرنا من المقامات
كالتوبة والزهد والصبر هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني
المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله واوله الايمان بالله واليوم

الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجا ويتشعب
منهما التوبة والصبر عليها ثم يجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي
المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة
القلب من غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه
فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة
واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما
ذكرناه في اول كتاب الطهارة

السبب الثاني

لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلايها على
القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا
وعلايقها تجري مجرى البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش
وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة
هي الكلمة الطيبة التي ضرب الله تعالى لها مثلا بقوله ضرب
الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في
السماء واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه فهي المعرفة والعمل الصالح كالجمال لهذه
المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا
من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة

فاما العلم بكيفية العمل يراد للعمل والعلم هو الاول وهو الاخر
وانما الاول علم المعامله وغرضه المعامله وغرض المعامله صفا
القلب وطهارته ليتضح فيه جليه الحق ويتزين بعلم المعرفه وهو
علم المكاشفه ومهما حصلت هذه المعرفه تبعها المحبه بالضروره
كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين
الظاهره احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذه فاللذه
تبع اللذه بالضروره فالمحبه تبع المعرفه بالضروره ولا توصل
الي هذه المعرفه بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر
الصافي والذكر الدايم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر
في الله تعالي وفي صفاته وملكوت سمواته وساير مخلوقاته
والواصلون الي هذه الرتبه ينقسمون الى الاقويا ويكون
اول معرفتهم لله تعالي ثم به يعرفون غيره والى الضعفا ويكون
اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل والى الاول
الاشاره بقوله تعالي اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد
وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل
له بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت
ربي والي الاشاره بقوله تعالي سنريهم اياتنا في الافاق وفي

انفسهم الايه وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله الله الذي
خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين الايه وهذا
الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين
واليه اكثر دعوه القران عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار
والنظر في ايات خارجه عن الحصر فان قلت كلي الطريقين
مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفه والتوصل
به الي المحبه فاعلم ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد بالحق على ساير
الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق
فلا فايده في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادني
فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنها
لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس
والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجه
عن الحصر والنهايه اذ ما من ذره من اعلى السموات الى تخوم الارض
الا وفيه عجايب ايات تدل على كمال قدره الله تعالي وكمال
حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهي بل لو كان

البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن ان تتطفل
به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الاجمال
ليقع التنبه بذكره فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال
فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فليطلب
اقلها واحقرها واصغرها ولينظر في عجايبها فاقل المخلوقات هو
الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملايكة وملكوت السموات
فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشمس والشمس
على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مايه ونيفا وستين
مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس
بالاضافة الى فلكها التي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه
وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات
ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش
كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما
احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض بالاضافة
الى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض في
البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة

وعلم ان المكشوف من الارض من الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة
الى كل الارض ثم انظر الى الادمي المخلوق من التراب الذي هو جزء
من الارض والى ساير الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض
ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما تعرفه من الحيوانات البعوض
والنمل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتامله بعقل
حاضر وفكر صافي وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل
الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما كخرطومه وخلق
له على شكله الصغير ساير الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة
جناحين وانظر كيف قسم اعضاه الظاهرة فانبت جناحيه واخرج
يديه ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء
والاته ما دبر في ساير الحيوانات وركب فيه من القوى الغاذية
الجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة هذا في شكله وصفاته
ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذايه وعرفه ان
غذاه دم الانسان ثم انظر كيف خلق له آلة الطيران الى الانسان
وخلق له الخرطوم الطويل وهو مجوف محدد الراس وكيف هداه
الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها وكيف
قواه حتى غرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم

وكيف خلق الجرطوم مع دقته مجوفاً حتى يجري فيه الدم
الدقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر اجزائه ويتغذى به
ثم انظر كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب
واستعداد آلته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة
اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت
اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع الغذاء
فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر ان حدقة كل حيوان صغير
لما لم يحتمل حدقته الاجفان وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة
عن القذى والغبار خلق للذباب والبعوض يدين فتنظر الى الذباب
فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان
الكبير خلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الآخر
واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة وترميه الى اطراف
الاهداب وخلق الاهداب السود ليجمع ضوء العين ويعين على الابصار
ويحسن صورة العين ولتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء
شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار
واما الذباب فخلق له حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها
كيفية التصقيل باليدين ولاجل ابصارها تراه يتهافت على السراج

لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء
السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت
المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه اليه
فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها
على السداد فيعود اليه مرة الى ان يحترق ولعلك تظن ان هذا
لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها
بل صورة الانسان في الاكباب على الشهوات صورة الفراش في
التهافت على النار اذ يلوح للآدمي انوار الشهوات من حيث
صورتها ولا يدري ان تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمي
بنفسه اليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكاً
مؤبداً فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها
بظاهر الضوء تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار ابد الآباد
او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم فهذه
لمعة من عجائب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من
العجائب ما لو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهه
عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورته

واما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم في كل
حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصه لا يشاركه فيه غيره
فانظر الى النحل وعجايبها وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من
لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والاخر شفاء ثم لو
تاملت عجايب امرها في تناولها الانهار والانوار واحترازها
من النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا
وهو اميرها ثم ما سخر الله لاميرها من العدل والانصاف بينها حتى
انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها
اخر العجب ان كنت بصيرا في نفسك وخارجا من هم بطنك
وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة
اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنايها بيوتا من
الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني
بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل
المسدس دون ساير الاشكال يقصر فهم المهندسين عن فهم
دركها وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب
منها فان المربع يخرج منه زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير

مستطيل

مستطيل فترك المربع حتى لا يضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها
مستديرا لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فان الاشكال
المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في اشكال
ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة
منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية
هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا
به وعناية لوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنا عيشه فسبحانه
ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه واعتبر بهذه اللمعة اليسيرة
من محقرات الحيوانات ودع عنك عجايب ملكوت السموات والارض
فان المقدار الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون
ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به العلماء
والانبياء ولا نسبة لما احاط به علم الخلايق كلهم الى ما استاثر
الله بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم
الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل
الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة
لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر
الدايم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن

تنال بذلك اليسير ملكًا عظيمًا لا آخر له ٥ **بيان السبب في تفاوت الناس في الحب** اعلم ان المومنين مشتركون في
اصل الحب لاشتراكهم في اصل الايمان ولكنهم يتفاوتون
لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشيا انما تتفاوت بتفاوت
اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسما
التي قرعت سمعهم ولقفوها وحفظوها وربما خيلوا لها معاني
تعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا
لها معنى فاسدًا بل امنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل
وتركوا البحث وهولاء هم اصحاب السلامة من اصحاب اليمين ٥
والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقايق هم المقربون
وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف الثلاثة في قوله فاما ان كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الايه واذا كنت لا تفهم
الامور الا بامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالًا فنقول اصحاب
الشافعي مثلًا يشتركون في حب الشافعي الفقها منهم والعوام لانهم
يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله
ولكن العامي يعرف علمه مجملًا والفقيه يعرفه مفصلًا فتكون معرفة
الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فان من راي تصنيف مصنف

واستحسنه وعرف به فضله احبه لا محاله ومال قلبه اليه فان
راي تصنيفًا آخر احسن منه واعجب تضاعف لا محاله حبه لانه
تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه
حسن الشعر ويحبه فاذا سمع من غرايب شعره ما عظم به حذقه
وصنعته ازداد به معرفته وازداد له حبًا وكذا ساير الصناعات
والفضايل فالعامي قد يسمع ان فلانًا مصنف وانه حسن التصنيف
ولكن لا يدري ما التصنيف فيكون له معرفة مجمله ويكون لحبه
مثل مجمل والبصير اذا فتش عن التصنيف واطلع على ما فيها من
العجايب تضاعف حبه لا محاله لان عجايب الصنعة والشعر والتصنيف
يدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى
وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع
تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يري في البعوض مثلًا من عجايب
صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محاله
عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبًا وكلما
ازداد به معرفة وله حبًا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجايب صنع
الله تعالى لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له
ومما تفاوت الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب

فان من يحب الله تعالى مثلاً لكونه محسناً اليه منعماً عليه ولم يحبه
لذاته ضعفت محبته اذ يتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في
حالة البلاء كحبه في حالة الرخا والنعما واما من يحبه لذاته
ولانه مستحق الحب فهذا وامثاله فهو اسبب تفاوت الناس
في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الاخرة
وكذلك قال تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ○

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا
يقتضي ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها
على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه
وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى انه لا يفهم الا
بمثال وهو انا اذا راينا انساناً يكتب ويخيط مثلاً فان كونه
حياً عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته الخياطة
اجلى عندنا من ساير صفاته الظاهرة والباطنة وصفاته الباطنة
كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا يعرفه
وصفاته الظاهرة لا يعرف بعضها وبعضها لا نشك فيه كمقدار
طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك اما حياته وقدرته وارادته

وعلمه وكونه حيواناً فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر
بحياته وقدرته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس
الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته
وحركته ولو نظرنا الى كل ما في العالم لم نعرف به صفته فما
علينا الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله وقدرته
وعلمه وساير صفاته تشهد له بالضرورة كلما نشاهده وندركه
الحواس الخمس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر
وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهوا وجوهر
وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا
وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا
واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس
ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات
له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في
العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة لوجود خالقها ومدبرها
ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته
والموجودات المدركة لا حصر لها فان كان حياة الكاتب ظاهرة
عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما احسسنا به

من حركه يديه فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود
شي داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته
وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها
بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد محرك لها يشهد
بذلك اولا تركيب اعضائنا وايتلاف عظومنا ولحومنا واعصابنا
ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وساير اجزائنا الظاهرة والباطنة
فانا نعلم انها لم تأتلف بانفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك
بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شي ومدرك ومحسوس ومعقول
وغايب وحاضر الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول
وذهبت على ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان
احدهما خفاوه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والاخر
ما تناهى وضوحه وهذا كان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار
لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره مع ضعف بصره
فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت فيكون
قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى
شيا الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فلذلك عقولنا
ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنار

وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ في ظهوره ذرة من
ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفايه فسبحان
من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصاير والابصار بظهوره
ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان
باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو
اختلفت الاشياء فدل بعضها دون بعض ادركت التفرقة على قرب
ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد استشكل الامر ومثاله
نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض والاعراض
تحدث في الارض فتزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس
دايمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن لا هيه في الاجسام
الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرها فانا لا نشاهد في
الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا
ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا
تفرقه بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت
بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور
بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك
لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور

هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك سائر المحسوسات
فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام
امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور
وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير
لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك
بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به
وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة
ولكن دلالته عامة في الاشياء كلها على نسق واحد ووجوده
دايم في الاحوال يستحيل خلافه فلاجرم اوجب شدة الظهور
خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته
ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا
يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله
اثر من اثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه
وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها
ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى الفاعل
ويذهل عن الفعل من حيث انه سما وارض وشجر بل ينظر فيه من حيث
انه صنع الله فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر

في شعر انسان او خطه او تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف
ورأى اثاره من حيث انه اثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج
مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم
تصنيف الله فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله تعالى وعرفه
من حيث انه فعله واحبه من حيث انه فعله لم يكن ناظرا الا
في الله تعالى ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا له وكان هو الموحد
الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه لا من حيث نفسه
بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد
وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا فغنينا عنا
فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي البصائر اشكلت
لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها
وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او باشتغالهم
بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا
هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه
ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله تعالى انما يدركها
الانسان في الصبي عند فقد العقل ثم يبدو فيه غريزة العقل قليلا
قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته

والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى
على سبيل الفجاه حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال
الله تعالى خارقا للعاده عجيبا انطلق لسانه بالمعرفه طبعا فقال
سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاه وساير الحيوانات
المالوفه وكلها شواهد قاطعه ولا يحس بشهادتها لطول
الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوه عينه
وامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان
دفعه واحده على سبيل الفجاه لخيف على عقله ان ينبهر
لعظم تعجبه من شهاده هذه العجايب لخالقها فهذا وامثاله
من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على
الخلق سبيل الاستضاءه بانوار المعرفه والسباحه في بحارها
الواسعه والناس في طلبهم معرفه الله تعالى كالمدهوش الذي
يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات
اذا صارت مطلوبه صارت معتاصه فهذا سر هذا الامر فليحقق
ولذلك قيل

لقد ظهرت فما يخفى على احد ... الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ... فكيف يعرف من بالعرف استترا

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان من انكر حقيقه المحبه
لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقه الشوق اذ لا يتصور الشوق
الا الى المحبوب ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى وكون
العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصاير
بطريق الاخبار والآثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما
سبق في اثبات الحب وكل محبوب يشتاق اليه لا محاله واما
الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق
الى نيل امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا
يتصور الا الى شي ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما
ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم
يسمع وصفه لم يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله
لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرويه فمن كان في مشاهده
محبوبه مدام النظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن
الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه
وهو من وجهين ولا ينكشف الا بمثال من المشاهدات
فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه
خياله يشتاق الى استكمال خياله بالرويه فلو انمحى عن قلبه

ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه
ولو راه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرويه فمعنى شوقه لشوق
نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمه حيث لا ينكشف
له حقيقه صورته فيشتاق الى استكمال رويته وتمام الانكشاف
في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى
شعره مثلا ولا ساير محاسنه فيشتاق الى رويته وان لم يرها قط
ولم يثبت في نفسه خيال الصادر عن الرويه ولكنه يعلم ان له
عضوا واعضاء جميله ولم يدرك تفصيل جمالها بالرويه فيشتاق
الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق
الله تعالى بل هما لازمان بالضروره لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين
من الامور الالهيه وان كانت في غايه الوضوح فكانه من وراء ستر
رقيق فلا يكون متضحا غايه الاتضاح بل يكون مشوبا بشوايب
التخيلات فان الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاه
لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك
تنضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح في المشاهده وتمام
اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الاخره وذلك بالضروره يوجب
الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا احد نوعي الشوق وهو

استكمال الوضوح فيما اتضح ايضاحا ما، الثاني ان الامور الالهيه
لا نهايه لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا
نهايه لها غامضه والعارف يعلم وجودها وكونها معلومه لله تعالى
ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا
الى ان يحصل اصل المعرفه فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم
يعرفها اصلا لا معرفه واضحه ولا معرفه غامضه والشوق الاول
ينتهي في الدار الاخره بالمعنى الذي يسمى رويه ولقا ومشاهده ولا
يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابرهيم بن ادهم من المشتاقين
فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن
به قلبه قبل لقايك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق فرايت في
النوم انه وقفني بين يديه وقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان
تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقايي وهل يسكن المشتاق
قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر
لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضايك وصبرني على بلايك
واوزعني شكر نعمايك فاذا الشوق يسكن في الاخره، واما الشوق
الثاني فيشبه ان لا يكون له نهايه لا في الدنيا ولا في الاخره اذ
نهايته ان ينكشف للعبد في الاخره من جلال الله وصفاته وحكمته

وانعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية له
ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له
فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات
كثيره الا انه يتشوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل
الوصال فهو لذلك شوق لذيذ لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان
يكون الكشف والنظر متواليه الى غير نهايه فلا يزال النعيم
واللذة متزايدا ابد الآباد ويكون لذة ما يتجدد من لطايف النعيم
شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان
يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا
فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حقه لا
يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من
الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد به اتمام النور في غير
ما استنار في الدنيا استنارا محتاجه الى مزيد الاستكمال
والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس
من نوركم قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا

بدوان يرد اصلها من الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقا فاما
ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف
لنا فيه بعد ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا
ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصاير كاشف لحقايق
الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والآثار فاكثر من
ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
كان يقول اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش
بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقايك
وقال ابو الدردا لكعب اخبرني عن اخص اية يعني في التوراة فقال
يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقايي واني الى لقايهم
لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن
طلب غيري لم يجدني وقال ابو الدردا اشهد لسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي اخبار داود ان الله تعالى
قال يا داود ابلغ اهل الارض اني حبيب لمن احبني وجليس
لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار
لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك من
قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي

من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا
يا اهل الارض ما انتم من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي
ومجالستي فانسوا بي وانا انسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت
طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب
المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي ، وروي عن بعض السلف
ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي
يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني
واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك
وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب
الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا اجنهم الليل
واختلط الظلام وبسطت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل
حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني
بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباكي وبين متاوه ومشتاكي
وبين قايم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي
وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاثا اقذف من
نوري في قلوبهم ويخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت

السموات والارض وما بينهما في موازينهم لاستقللتها لهم ، والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد
ما اريد ان اعطيه ، وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى
اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي
قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين
صفيتهم من الكدر وانبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي
خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي
ثم ادعوا نجباء ملايكتي فاذا اجتمعوا يسجدوا لي فاقول
اني ما دعوتكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم المشتاقين
واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضي في سمائي لملايكتي
كما تضي الشمس لاهل الارض ، يا داود واني خلقت قلوب المشتاقين
من رضواني ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثا وجعلت
ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا
ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب
ارني اهل محبتك فقال يا داود ايت جبل لبنان فان فيه اربعة
عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم
فاقريهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقريكم السلام ويقول لكم

الا تسالوني حاجه فانكم احبابي واصفيايي واوليايي افرح
لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود فوجدهم عند عين
من العيون يتفكرون في عظمه الله عز وجل فلما نظروا الى داود
نهضوا ليتفرقوا فقال داود اني رسول الله جيتكم لابلغكم
رساله ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا
ابصارهم الى الارض قال داود اني رسول الله اليكم ان الله تعالى
يقريكم السلام ويقول الا تسالوني حاجه الا تنادوني اسمع صوتكم
وكلامكم فانكم احبايي واصفيايي واوليايي افرح بفرحكم
واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعه نظر الوالده الشفيقه
الرفيقه قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك
نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك
فيما مضى من اعمارنا وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك
وبنو عبيدك افنجتري على الدعا وقد علمت انه لا حاجة لنا في
شي من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنه علينا
وقال الاخر نحن المقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك
وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك
افيجتري على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك

وطلبتنا الدنو من نورك وقال الاخر كلت السنتنا عن دعايك
لعظم شانك وقربك من اوليايك وكثره منتك على اهل محبتك
وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك
بذكرك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الاخر قد عرفت
حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف نجتري
العبد على سيده اذا امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي
به في الظلمات بين اطباق السموات وقال الاخر ندعوك ان
تقبل علينا بوجهك وتديمه عندنا وقال الاخر نسالك تمام
نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الاخر لا حاجه
لنا في شي من خلقك فامنن علينا بالنظر الى وجهك وقال
الاخر اسالك من بينهم ان تعمي عن النظر الى الدنيا واهلها قلبي
عن الاشتغال بالاخره وقال الاخر قد عرفت تباركت وتعاليت
انك تحب اوليايك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شي
دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم
واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ
لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى
نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن في

عيني

يارب

والكف عن الدنيا واهلها والخلوات في مناجاتهم وان هذا منزل
لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشي من ذكرها
وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه
وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر
الناظر الى الشي بعينه واريه كرامتي في كل ساعة اقربه من
نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها
وان عطش ارويته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت به ذلك يا
داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لئلا يفتر
عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه
موضع نظري من خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته
يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاؤه و
وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل سمواتي
يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي لاقعدنه في الفردوس
ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضى، وفي
اخبار داود ايضا قل لعبادي المتواجدين الى محبتي ما ضركم
اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى
تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا

اذا انبسطت لكم ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم
رضاي، وفي اخبار داود ايضا ان الله تعالى اوحى الى داود
تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك
فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب، يا داود خالص حبيبي مخالصة
وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك
الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وما اشكل
عليك فقلدنيه، حقا علي ان الي سياستك وتقويمك فاكون
قائدك ودليلك، اعطيك من غير ان تسالني واعينك على
الشدائد، فاني قد حلفت على نفسي ان لا اثيب عبدا الا عبدا قد
عرفت من طلبته وارادته اللقا لنفسه بين يدي وانه لا غنى به
عني، واذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكن
الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي ان لا يطمئن عبد الى نفسه
ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف الاشياء الى فتكون
متعنتا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها
غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيك ولا تجد للزيادة مني حدا
ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فليعظم
رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك
ولا تنظر بعينيك في راسك الى الذين حجبت قلوبهم عني فامرجوها
وسخط بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا ابيح
ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن
تعلمه ولا تتطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين
عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا
من سكرة هو فيها فاكتبك جهبذا ومن كتبته جهبذا لا يكون
عليه وحشة ولا حاجة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي
وخذ من نفسك لنفسك لا يؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس
عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فاني انما اباح الشهوات
لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص
حلاوة مناجاتي وانما عقوبة في موضع التناول ادنى ما يصل
اليهم ان احجب قلوبهم عني واني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته
عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي
اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك
الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان
محبتي للصوم ادمانه يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك امنعها

الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما
اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني
احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي وأوحى الله تعالى
الى داود لو تعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم
وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم
من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي
في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى
عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون
عندي اذا رجع الي فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى يدل
على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق معناها
فسنكشف ما سبق ۞ بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها
اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده
فلا بد من معرفة معنى ذلك فلنقدم الشواهد على محبته
فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ولذلك رد الله تعالى على من ادعى انه حبيب
الله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى عن انس بن

مالك عن النبي عليه السلام انه قال اذا احب الله تعالى عبدا
لم يضره ذنب والتايب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه
قبل الموت ولا تضره الذنوب الماضيه وان كثرت كما لا يضر
الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة
غفران الذنب فقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال عليه السلام ان الله يعطي
الدنيا من لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال عليه السلام
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه ومن اكثر ذكر
الله احبه الله وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث وقال زيد بن اسلم ان
الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه ان يقول له اعمل ما
شيت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن
الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقه وليس
بمجاز اذ المحبه في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى
الشي الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا

ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان الجمال
والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة تدرك بالبصيرة والحب
يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله تعالى
للعبد فلا يتصور ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي
كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله تعالى لم ينطلق
عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاشيا
اشتراكا لا يشمل الخلق والخالق على معنى واحد بل كل
ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى
فوجود التابع لا يكون مساويا لوجود المتبوع وانما الاستواء
في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم
اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق
واحدهما ان يكون فيه اصلا فليست الجسمية في احدهما مستفاده
من الاخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولخلقه وهذا التباعد
في ساير الاسامي اظهر كالعلم والاراده والقدرة وغيرها فكل
ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع
هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام
من الخالق وكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز

وجه

والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس
الى موافق ملايم وهذا انما يتصور في نفس ناقصة فانها
تميل الى ما يوافقها لتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا
محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال
ممكن في الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ازلا
وابدا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره
نظر من حيث انه غير بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط
وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو
سعيد الميهني رحمه الله لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه
فقال الحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل
وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه
وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث
هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ
في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه
حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته
ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة
الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب

فاذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث
يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال ولا يزال يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء
باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله في درجة القرب
من ربه وكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى
حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده
من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك
اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته او ليستشيره في
رايه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه
ويكون معناه اليه لما فيه من المعنى الموافق الملايم له وقد
يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع والاستنجاد
ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية
والخلال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملك
وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا
رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب
من الخلال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب عنه يقال قد توصل
وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى

الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى بشرط ان لا
يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان
الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى في
البعد من صفات البهايم والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق
التي هي الاخلاق الالهية وهو قرب بالصفة لا بالمكان
ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما ظن بهذا ان
القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار
قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله عز وجل اذ التغير
عليه محال بل لا يزال من نعوت الكمال والجمال على ما كان عليه
في ازل الازال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب من الاشخاص
فان الشخصين قد يتقاربان بان يتحركا جميعا وقد يكون احدهما
ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير
في الاخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب
القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ
واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه بل
والتلميذ متحرك مترق الى درجته من حضيض الجهل الى يفاع
العلم فلا يزال دايبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه

والاستاذ ثابت غير متغير فلذلك ينبغي ان يفهم بان ترقي العبد
في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقايق
الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر
نزاهة عن الرذايل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال
لله وقرب كل واحد من الله بقدر كماله، نعم قد يقدر التلميذ
على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذاك
في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد
في درجات الكمال متناه وينتهي الى حد محدود فلا مطمع له في
المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا
لاجل انتفا النهاية عن ذلك الكمال، فاذن محبة الله تعالى
للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير
باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده
كانه يراه بقلبه، واما محبة العبد لله تعالى فهو ميله الى
درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق
الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة
بهذا المعنى محال على الله تعالى، فان قلت فمحبة الله تعالى للعبد
امر ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله تعالى فاقول يستدل عليه

بعلاماته وقد قال عليه السلام اذا احب الله تعالى عبدًا ابتلاه
فان احبه الحب البالغ اقناه قيل وما اقناه قال لم يترك له
اهلاً ولا مالاً فعلامة محبة الله تعالى للعبد ان يوحشه من
غيره ويحول بينه وبين غيره ، قيل لعيسى لم تشتري حمارًا تركبه
فقال انا اعز على الله من ان يشغلني عن نفسه بحمار ، وفي الخبر
اذا احب الله عبدًا ابتلاه فان صبره اجتباه فان رضي اصطفاه
وقال بعض العلماء اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه
يريد يصافيك ، وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشي
من المحبه فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فاثرت عليه اياه
قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدًا حتى يبلوه ،
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدًا
جعل له واعظًا من نفسه وزاجرًا من قلبه يامره وينهاه ،
وقال اذا اراد الله بعبد خيرًا بصره بعيوب نفسه فاخص
علامات حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله تعالى ، واما
الفعل الدال على كونه محبوبًا فهو ان يتولى الله امره ظاهره
وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره ۞
والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه

والجاعل همومه همًا واحدًا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له
من غيره والمونس له بلذة المناجاة في قلبه خلواته والكاشف
له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله
تعالى للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله تعالى فانها
ايضا علامات حب الله تعالى للعبد ۞ القول في علامات
محبة العبد لله تعالى اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل
الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس
الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى يمتحنها
بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادله والمحبة شجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب واللسان
والجوارح وتدل تلك الاثار الفايضة منها على القلب والجوارح
على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار
وهي كثيرة ، فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة
في دار السلام فلا يتصور ان يحب محبوبًا الا ويحب
مشاهدته ولقاه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا
ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبًا للموت غير فار منه فان
المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم

بمشاهدة محبوبه والموت مفتاح اللقا وباب الدخول الى المشاهد
وقال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاه، وقال
حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقه لا افلح من ندم، وقال
بعض السلف ما من خصلة احب الى الله تعالى ان يكون في العبد
بعد حب لقايه من كثرة السجود فقد تقدم حب لقاء الله تعالى
على السجود، وقد شرط الله تعالى بحقيقة الصدق في الحب القتل
في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله
وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا، وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون،
وفي وصية ابي بكر لعمر الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل
خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن
غايب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي
لم يكن غايب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه، ويروى عن اسحق
ابن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال
له يوم احد الا ندعو الله تعالى فخلوا في ناحية فدعا عبد الله
بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذ لقيت العدو غدا فلقني
رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم

ياخذني ويجدع انفي واذني ويبقر بطني واذا لقيتك غدا قلت
يا عبد الله فيم جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك
فيقول صدقت قال سعد فلقد رايته آخر النهار وان انفه
واذنه لمعلقتان في خيط قال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر
الله آخر قسمه كما ابر اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي
يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره
لقاء حبيبه، وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه
توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به
لان الرضا بقضاء الله تعالى افضل من طلب الفرار منه، فان
قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله فاقول
كراهة الموت قد يكون لحب الدنيا وللتاسف على فراق الاهل
والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب
الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون
له مع حب الاهل والولد شايبة من حب الله تعالى ضعيفة فان
الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا

حذيفه بن عتبه بن ربيعه بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة
من سالم مولاه عابته قريش على ذلك وقالوا انكحت عقيلة من
عقايل قريش مولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه
خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله قالوا كيف وهي اختك
وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم
فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه
ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله تعالى عند القدوم
عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا على قدر حبه لها وامّا
السبب الثاني للكراهة فهو ان يكون العبد في ابتداء مقام
المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء
الله تعالى فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله
الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيي له
داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل
خفيف الظهر عن العوايق فالكراهيه بهذا السبب لا ينافي كمال
الحب اصلا وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد
ومنها ان يكون موثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه

فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا
على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا
الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف
الله المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم الى قوله ويوثرون
على انفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه
بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق تنعم بغير المحبوب كما روي
ان زليخا لما امنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه
وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى وكان يدعوها الى فراشه
نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت
يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذا عرفته فما ابقت
محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله تعالى
امرني بذلك فاخبرني انه يخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين
فقالت اما اذا كان امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة
لامر الله تعالى فعند ذلك سكنت فاذا من احب الله لا يعصيه
ولذلك قال ابن المبارك فيه

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل ايضا

واترك ما اهوى لما قد هويته وارضى بما ترضى وان سخطت نفسي

وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسه فليس كل من عمل بطاعة الله تعالى صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تولاه ونصره على اعدايه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يمد له ولا يكله الى شهواته وهواه ولذلك قال الله تعالى والله اعلم باعدايكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق الصحة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال المحبة وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احب الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله فاسكت فان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المحبة والمعرفة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومنها ان يكون مستكثرا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كل اهل محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب

رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه فلم يجاوز حبه الى غيره
بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه احب جميع
خلق الله لانهم خلقه وكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد
الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحبه
ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقال عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لله
تعالى وقال سفين من احب بالله فانما احب الله ومن تكرم
لله فانما يكرم الله تعالى وحكى عن بعض المريدين قال كنت
قد وجدت حلاوة المناجاة في سر الارادة فادمنت قراءة
القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال
فسمعت قايلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت
كتابي لما ترى فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب
في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابو مسعود لا
ينبغي ان يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن
فهو يحب الله وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله والقرآن
هو المعيار وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة
حب الله وحب القرآن حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي حب

حب الآخره

السنه وعلامة حب السنه حب الاخره وعلامة بغض الدنيا
وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا الزاد او بلغه الى الآخره
ومنها ان يكون انسه بالخلوه ومناجاة الله تعالى وتلاوة
القرآن ويواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفا الوقت
بانقطاع العلايق والعوايق فاقل درجات الحب التلذذ بالخلوة
بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث
الذ عنده واطيب من مناجاة الله تعالى كيف تصح محبته قيل
لابرهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت قال من الانس
بالله وفي اخبار داود لا تستانس الى احد من خلقي فاني انما
اقطع عني رجلين رجلا استبطا ثوابي فانقطع ورجلا نسيني
ورضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه
في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله
مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبة الله وفي قصة برخ
وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى ان الله قال لموسى ان
برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال
يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شي
وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طاير وقد

عشش في شجرة يأوي اليها ويستقر عندها فقال لو حولت
مسجدي الي تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطاير، قال
ففعل فاوحى الله تعالى الى النبي قل لفلان العابد استانست بمخلوق
لاحطنك درجه لا تنالها بشيء من عملك اذن، فاذن علامة
المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به
وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن
لذة المناجات وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله
مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه،
وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق
في داره فلم يشعر به، وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته
وهو في الصلوة فلم يشعر به، ومهما غلب الحب والانس صارت
الخلوة والمناجاة قرة عين جميع الهموم. بل يستغرق الحب
والانس قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم يتكرر على سمعه
مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في
الباطن بذكر حبيبه والمحب من لا يطمين الا بمحبوبه، وقال
قتادة في قوله تعالى الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا
بذكر الله تطمين القلوب قال هشت اليه واستانست به ٥

تدفع

وقال

وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله تعالى شغله
ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر، وقال مطرف
ابن ابي بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه، واوحى الله تعالى الى
داود قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس
كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني، وقال
موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت،
وقال يحيى بن معاذ من احب الله تعالى ابغض جبيبه، وقال ايضا
من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يوثر كلام الله على كلام
الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق،
ومنها ان لا يتاسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم
تاسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته فيكون
رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبه،
وقال بعض العارفين ان لله تعالى عبادا احبوه واطمانوا اليه
فذهب عنهم التاسف على الفايت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ
كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل
اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته
في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويساله ويقول يا

رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني
بنفسي وبمتابعة الشيطان فيخرج ذلك منه صفاذكر ورقة
قلب ويكفر عنه ما سبق من الغفله وتكون غفلته وهفوته
سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم يرد المحب الا المحبوب ولم
يرشيا الا منه لم ياسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضى وعلم
ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله وعسى ان
تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه وهو خير لكم، ومنها ان يتنعم
بالطاعه ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت
الليل عشرين سنه ثم تنعمت عشرين سنه، وقال الجنيد علامة
المحبه دوام النشاط والدؤب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه،
وقال بعضهم العمل على المحبه لا يدخله الفتور، وقال بعض
العلماء ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسايل
وكل هذا مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل
في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على
بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدره
وان يفارقه العجز حتى يشتغل به، وهكذا يكون حب الله تعالى
فان كل صاحب صار غالبا فهو لا محالة من دونه فمن كان

محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان
احب اليه من المال ترك المال في حبه، وقيل لبعض المحبين
وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شي ما كان سبب
حالك هذه في المحبه قال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه
وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك
كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي قال يا
سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك
فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان
هذا سببه، ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله
رحيما بهم شديدا على اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما
يكرهه كما قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا
ياخذه في الله لومة لايم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه
وصف الله تعالى اولياه اذ قال في بعض كتبه الذين يكلفون
بحبي كما يكلف الصبي بالثدي ويأوون الى ذكري كما ياوي النسر
الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا
يبالي قل الناس ام كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا
كلف بالشي لم يفارقه اصلا وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء

والصباح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه فى ثيابه فان انتبه
عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه
فيه ابغضه ومن اعطاه اياه احبه ومن منعه مقته وامّا
النمر فلا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من غضبه ان يهلك
نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه العلامات فقد تمت
محبته وخلص حبه فصفا فى الاخرة شرابه وعذب مشربه
ومن امتزج محبته حب غير الله تنعم فى الاخرة بقدر حبه اذ يمزج
شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى ان الابرار لفى
نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك
فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون
فانما طاب شراب الابرار بشوب الشراب الصرف الذى هو للمقربين
والشراب عبارة عن جميع نعيم الجنان كما ان الكتاب عبارة عن
جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفى عليين ثم قال يشهده
المقربون فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون
وكان الابرار يجدون المزيد فى حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين
ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم فى الاخرة ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة كما بدانا اول خلق نعيده وكما قال تعالى

جزاء وفاقا اى وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من
الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق
من الشوب فى حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه
فى الدنيا ورجاؤه لنعيم الاخرة وللحور والقصور مكن فى الجنة
ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان والقصور ويتمتع بالنسوان
ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه
بالاخلاص والصدق انزل فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ٥
فالابرار يرتعون فى البساتين ويتنعمون فى الجنات مع الحور
والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم
عليها مستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فهم بقضاء
شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة قوم اخرون ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون
لذوى الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره
فقال وما ادريك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة
وما ادريك ما القارعة ومنها ان يكون فى حبه خايفا

متضايلا تحت الهيبه والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمه يوجب الهيبه كما ان ادراك الجمال يوجب الحب، وللخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبه ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد فهذا المعنى من سورة هود شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبه البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين شيب سماعه اهل القرب في القرب ولا تحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يكن من بساط القرب، ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهايه لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليله سبعين مره فاستغفر الله تعالى، وانما كان ذلك استغفارا من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافه الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبه لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب، كما روي ان الله

تعالى يقول ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبه العموم واما الخصوص فحجبهم عن المزيد بمجرد الريا والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخه، ثم خوف ما لا يدرك بعد فوته، سمع ابرهيم بن ادهم قايلا يقول في سياحته وكان على جبل،

، كل ذنب لك مغفور سوى الاعراض عنا ،
، قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا ،

فاضطرب وغشي عليه ولم يفق يوما وليله وطرت عليه احوال ثم قال سمعت النداء في الجبل يا ابرهيم كن عبدا قال فكنت عبدا واسترحت، ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في الطلب لها اسباب خفيه سماويه ليس في قوه البشر الاطلاع عليها فاذا اراد الله تعالى المكر به

واستدراجه اخفي عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجا
او يغتر بحسن الظن بالله او يغلبه الهوي والنسيان وكل
ذلك من جنود الشيطان الذي تغلب جنود الملايكه من
العلم والعقل والذكر والبيان كما ان اوصاف الله تعالى
ما تظهر فيقتضي هيجان الحب وهي اوصاف اللطف والرحمه
والحكمه ومن اوصافه ما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبريه
والعزه والاستغنا وذلك من مقدمات المكر والشقا
والحرمان ٭ ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه
الي حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمه هذا المقام
والاعراض والحجاب مقدمه السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه
من دوام الذكر وملازمة الوظايف والاوراد اسباب هذه المعاني
ومقدماتها ٭ وهذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى
مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمه الخوف لهذه الامور وشده
الحذر لصفاء المراقبه دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا
محاله فقده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن
فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبه من غير خوف
هلك بالبسط والادلال ٭ ومن عبده من طريق المحبه والخوف

احبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف
والخايف لا يخلو عن محبه ولكن الذي غلب عليه المحبه حتى
اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبه
وبعد من المحبين وكان شوب الخوف بسكن قليلا من سكر الحب
فلو غلب الحب واستولت المعرفه لم يثبت لذلك طاقه البشر
وانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب ٭ فقد روي في
الاخبار ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال ان يسال الله تعالى
ان يرزقه ذره من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار
عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعه ايام لا ينتفع بشي ولا
ينتفع به شي فسال له الصديق ربه ان ينقصه من الذره بعضها
فاوحى الله تعالي اليه انما اعطيناه جزا من مايه الف جزء من ذره
المعرفه وذلك ان مايه الف عبد سالوني شيا من المعرفه في الوقت
الذي سالتني هذا فاخرت اجابتهم الي ان شفعت انت لهذا فلما
اجبتك فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذره من المعرفه
بين مايه الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا
احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله جمله الجزء وبقي
معه عشر معشار وهو جزء من الف جزء من مايه الف جزء من ذره

فاعتدل خوفه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين، وقد
قيل في وصف حال العارف ه

قريب الوجد ذو مرمى بعيد ... على الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب ... كان فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه وغابت ... عن الابصار الا للشهيد
ترى الاعياد في الاوقات تجري ... له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد ... ولم اجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد ابياتا ثم يشير بها الى اسرار
العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره وهي ه

سرت باناس في الغيوب قلوبهم ... فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراض بقرب الله في ظل قدسه ... تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو اجمل
تروح بعز مفرد من صفاته ... وما كتمه اعلى لديه واعدل
ساكتم من علمي به ما يصونه ... وابذل منه ما ارى الحق يبذل
واعطي عباد الله منه حقوقهم ... وامنع منه ما الذي المنع افضل
على ان للرحمن سرا يصونه ... الى اهله في السر والصون اجمل

وامثال هذه المعارف التي لها الاشان لا يجوز ان تشترك

الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن
لم ينكشف بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا والحكمة
تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس الحلال
اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش
بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة
والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيما هو شر
في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا
منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته، ومنها كتمان الحب واجتناب
الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا
له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب
ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه
فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتعجل
عليه البلوى في الدنيا قد يكون للمحب سكر في حبه حتى يدهش
فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع في ذلك من
غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من
الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا
يندفع فيضانه، فالقادر على الكتمان يقول ،

وقالوا اقرب قلت ما انا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فمالي حظ غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري
والعاجز عنه يقول
يخفي فيبدي الدمع اسراره ويظهر الوجد عليه النفس
ويقول ايضا
ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم
وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله تعالى بعدا اكثرهم
اشارة به كانه اراد من كثر التعريض به في كل شي ويكثر
التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله
عز وجل ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان
يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه
فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال
ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال
الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى
المقامات واظهارها اظهار الخير فلماذا تستنكر فاعلم ان
المحبة محموده وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها
لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان يتم على

حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وافعاله ينبغي ان
تظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار
الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب
فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه
كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك
ما تنفقه يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانيه
واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك
غير ربك واظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب
سكر الحب وانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام
فيه صاحبه وحكي ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله
فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي له
محبون صغار وكبار وعقلا ومجانين وهذا الذي رايته من
مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسبب ان المحب ان كان
عارفا وعرف احوال الملايكه وحبهم الدايم وشوقهم اللازم الذي
به يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه
وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من كل

محب لله تعالى، وقال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله
ثلاثين سنه باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ
الطاقه حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشيا من مكاشفات
آيات السموات في قصه طويله وقال في آخرها فتلقيت صفا
من الملايكه بقدر جميع ما خلق الله من شي فقلت ما انتم فقالوا
نحن المحبون لله نعبده هاهنا منذ ثلثمايه سنه ما خطر على قلوبنا
قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها
لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فاذن من عرف نفسه
عرف ربه واستحيى منه حق الحيا خرس لسانه عن التظاهر
بالدعوى نعم تشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه
واحجامه وترددانه، كما حكي عن الجنيد انه قال مرض
استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دوا ولا عرفنا له
شيئا فوصف له طبيب حاذق فاخذنا قارورة مايه فنظر اليه
الطبيب وجعل ينظر مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال
الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم
رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره
قلت يا استاذ فتبين المحبه في البول قال نعم، وقد قال السري

مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي الا
حبه ثم غشي وتدل الغشيه على انه افصح في غلبة الوجد ٥
ومقدمات الغشيه وهذه مجامع علامات الحب وثمراته ٥
ومنها الانس والرضى كما سياتي وبالجملة جميع محاسن
الدين ومكارم الاخلاق ثمره الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع
الهوى وهو من رذايل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه
وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه فالمحبون لا يخرجون
عن هذين القسمين، ولذلك قال الجنيد الناس في محبه الله
عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه
وكثره نعمته فلم يتمالكوا ان رضوه الا انه تقل محبتهم وتكثر على
قدر النعم والاحسان، فاما الخاصه فنالوا المحبه بعظم القدر
والقدره والعلم والحكمه والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته
الكامله واسماه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه فاذن استحق عندهم
المحبه بذلك لانه اهل له ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس
من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه
بحكم الغرور والجهل فيظن انه محب لله وهو الذي فقدت هذه
العلامات منه اذ يلبس نفاقا ورياء وسمعه وغرضه عاجل حظ الدنيا

وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء
السوء اولئك بغضاء الله في ارضه، وكان سهل اذا تكلم
مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون
حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن القائل سرا لا يخلوا
اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله
وان كان منافقا فهو حبيب ابليس، وقد قال ابو تراب
النخشبي في علامات المحب ابياتا وهي هذه

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بحسن بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان ترى من عزمه ... طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متفهما ... لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا ... متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ الرازي

ومن الدلائل ان تراه مشمرا ... في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ... جوف الظلام فما له من عاذل

ومن الدلائل ان تراه مسافرا ... نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ... من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا ... ان قد رآه على قبيح فاعل
ومن الدلائل ان تراه مسلما ... كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا ... بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ... والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الانس بالله تعالى قد ذكرنا ان الانس
والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار تختلف على
المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه
التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره
عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج
له وهاج اليه ويسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو
بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب
ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان
نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت
الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره
انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة

وخطر امكان الزوال والبعد بالم القلب بهذا الاستشعار
فيسمى ما لقه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات
والملاحظة تابعة لاسباب تقتضيها بما يمكن حصرها فالانس
معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا
غلب وتجرد عن ملاحظة ما لم غاب عنه وما يتطرق اليه
من الم الزوال عظم نعمته ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم
حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غايب فاذا
كان الغايب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق
بالفرح بما ناله غير متلفت الى ما بقي في الامكان من مزايا
الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا
الانفراد بالخلوة كما حكي ان ابرهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل
له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس
بالله ملازمة التوحش من غير الله بل كلما يعوق عن
الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان
موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام
احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة
كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما

سواه وكذلك قال بعض الحكماء في دعايه يا من انسني بذكره
واوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلام كن
بي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت
هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل ه
وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب
لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة
لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة راس العبادة قلت
يا راهب ما اقل ما تجد في الوحدة قال الراحة من مداراة
الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد
حلاوة الانس بالله قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة
قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهموم فصارت هما واحدا
في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلايق كيف ارادوا
بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك
فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامة الخاصة ضيق
الصدر من معاملة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة
الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب
في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغايب في حضور

ومخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر
كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم الامر
على حقيقة الامر باشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر
المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا
بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اوليك خلفا الله في
ارضه والدعاة الى دينه وهذا معنى الانس بالله وهذه
علامته وهذه شواهده • وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار
الانس والشوق والمحبة لظنه ان ذلك يدل على التشبيه
وجهله بان جمال المدركات بالبصاير اكمل من جمال المبصرات
ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب • ومنهم احمد بن غالب يعرف
بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسين النوري والجماعة
حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام الرضى
وقال ليس الا الصبر فاما الرضى فغير مقصور وهذا كلام ناقص
قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور وظن انه لا وجود
الا القشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال طريق الدين
قشر مجرد ووراه اللب المطلوب فمن لم يعرف من الجوز الا قشره
وظن ان الجوز خشب مجرد ووراه اللب فهو معذور ولكن

عذره غير مقبول • وقد قيل ٥

• الانس بالله لا يحويه بطال • وليس يدركه بالحول محتال •
• والانسون رجال كلهم نجب • وكلهم صفوة لله عمال •

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة
الانس اعلم ان الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه
قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا
من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى
وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ولكنه
محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه
بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر • ومثاله
مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام
ان يساله ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله تعالى اليهم
كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سراير هم خبيثة
يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي
يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى
ولم يعرف فبينما موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق اذا
بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في

شملة قد صفدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله فسلم عليه
وقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج
فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا
من حلمك وما الذي بدا لك انقضت عليك عيونك ام عاندت
الرياح عن طاعتك ام بعد ما عندك ام اشتد غضبك على
المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطايا خلقت الرحمة
وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة
قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله تعالى
العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله
موسى فقال كيف رايت قال خاصمت كيف انصفني فهم موسى
به فاوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات
وعن الحسن احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص
لم يحترق وابو موسى يومئذ امير بالبصرة فاخبر بذلك فبعث
الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق
فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤسهم
دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة

يقول

فجاء ابو عبيد الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر
لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال
فاعزم عليها ان تطفا فعزم عليها فطفيت وكان ابو حفص يمشي
ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما
اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو
حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره قال
فظهر الحمار في الوقت فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس
لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في
كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة ٥
وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في
احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القايل
قوم مجالستهم زهو بسيدهم والعبد فيهم على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا
ولا تستبعدون رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما
اختلف مقامهما ففي القران تنبيهات على هذه المعاني ولو
فطنت وفهمت فجميع قصص القران تنبيهات لاولي الابصار
والبصاير حتى ينظرون اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي

الاغترار من الاسرار، فاول القصص قصة آدم وابليس اما تراهما
كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمه
اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين، واما آدم
فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى، وقد عاتب الله نبيه عليه السلام في الاعراض عن
عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سواء ولكن
في الحال مختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت
عنه تلهى، وقال في الآخر اما من استغنى فانت له تصدى ٥
وكذلك امره بالقعود مع طايفه فقال واذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا
رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى قال ولا تقعد بعد
الذكرى مع القوم الظالمين، وقال تعالى واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، وكذلك الانبساط
والادلال يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط
الانس قول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشا وتهدي
من تشا، وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب
الى فرعون فقال ولهم علي ذنب، وقوله اني اخاف ان يكذبون

ويضيق صدري، وقوله انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى،
وهذا في غير موسى من سوء الادب لان الذي يقيم مقام الانس
يلاطف ويحتمل، ولم يحتمل ليونس عليه السلام دون هذا لما انه
اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت
في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم القيمه لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء
هو القيمه ونهى نبينا ان يقتدي به وقيل واصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات
بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل
من التفاضل والتفاوت في القسمه بين العباد ولقد قال تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع
بعضهم فوق بعض درجات وكان عيسى عليه السلام من المفضلين
ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم
اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف
في مقام الانس، واما يحيى بن زكريا فاقيم مقام الهيبه
والحيا فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه ٥
وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال

بعض العلماء قد عددت من قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه
احب الى ابينا الى راس العشرين من اخباره عن زهدهم فيه بنيفا
واربعين خطية بعضها اكبر من بعض وقد تجتمع في الكلمة
الواحدة الثلث والاربع فغفرلهم وعفا عنهم ولم يحتمل للعزيز
مسالة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة
وكذلك كان بلعم بن باعور من اكابر العلما فاكل الدنيا
بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان اصف من المسرفين وكانت
معصيته في الجوارح فعفي عنه فقد روي ان الله تعالى اوحى
الى سليمن يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني
ابن خالتك اصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي
لئن اخذته عطفة من عطفاتي لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا
لمن بعده فلما دخل اصف على سليمان اخبره بما اوحى الله تعالى اليه
فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال
الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي
وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله تعالى اليه
صدقت يا اصف انت انت وانا انا استقبل التوبة فقد تبت عليك
وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به وهارب منه اليه وناظر

به اليه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان
اشفى على الهلكة كم ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت
في دونه امة من الامم فهذه سنة الله في عباده بالتفضيل والتقديم
والتاخير على ما سبقت به المشية الازلية فهذه القصص اوردت
في القران ليعرف ان سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل وما
في القران شي الا وهو هدى ونور وتعرف الله الى خلقه فتارة
يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله
فيقول الملك القدوس الاية وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة
والمرجوة فيتلوا عليهم سنته في اعدايه وانبيايه فيقول الم تر كيف
فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القران عن هذه الاقسام الثلاثة
وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او معرفة صفاته
واسمايه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة
الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس
وازنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران فقال من
قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القران لان منتهى التقديس ان
ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه

وشبهه ودل عليه لم يلد ولم يولد ولا يكون في درجته وان
لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له
كفوا احد وجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد وجملة
تفصيل ذلك لا اله الا الله فهذه اسرار القران ولا تتناهى امثال
هذه الاسرار في القران ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القران والتمسوا غرائبه ففيه علم
الاولين والاخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته
فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة بانه كلام جبار
قاهر مليك قادر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر
اسرار القران معباة في طي القصص والاخبار فكن حريصا على
استنباطها لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر منه العلوم
المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانبساط
الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه ٥

القول في معنى الرضى بالقضا وحقيقته وما ورد في فضيله

اعلم ان الرضى ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين
وحقيقته غامض على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام
غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التاويل وفقهه في الدين فقد

انكر منكرون تصور الرضا بما خالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضى
بكل شي لانه فعل الله تعالى فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع
بذلك قوم فراوا الرضى بالفجور والفسق وترك الاعتراض والانكار
من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر
على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن
عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدا ببيان
فضيلة الرضى ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا
وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام
الرضا كترك الدعاء والسكوت على المعاصي وبالله التوفيق ٥

بيان فضيلة الرضى اما من الايات فقوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال هل جزاء الاحسان الا
الاحسان ومنتهى الاحسان رضى الله تعالى عن عبده وهو ثواب
رضى العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن
ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله الرضى فوق جنات عدن
كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة الله في الصلاه
اكبر من الصلاه فرضوان رب الجنه اعلى من الجنة بل هو غاية

مطالب سكان الجنان ؛ وفي الحديث ان الله يتجلى للمومنين
فيقول سلوني فيقولون رضاك فسوالهم الرضى بعد النظر
نهاية التفضيل ؛ واما رضى العبد فسنذكر حقيقته ؛ واما
رضوان الله تعالى عن العبد فهو معنى اخر يقرب مما ذكرناه في حب الله
تعالى للعبد ولا يجوز ان ينكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام
الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه
وفي الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه وانما سالوا الرضى لانه
سبب دوام النظر فكانهم راوا غاية الغايات واقصى الاماني
لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسوال لم يسالوا الا دوامه
وعلموا ان الرضى سبب دوام رفع الحجاب ؛ وقال تعالى ولدينا
مزيد قال بعض المفسرين ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلاث
تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله ليس عندهم
في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين ؛ والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على
الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم ؛ والثالثة يقول
الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والسلام
فذلك قوله ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه ه

هذا افضل رضى الله وهو ثمرة رضى العبد ؛ واما الاخبار فقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم سال طايفة من اصحابه ما انتم فقالوا
مومنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلا ونشكر
عند الرخا ونرضى بمواقع القضا فقال مومنون ورب الكعبة ؛
وفي خبر آخر انه قال حين قالوا ذلك حكما علما كادوا من فقههم
ان يكونوا انبيا ؛ وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان
رزقه كفافا ورضي به ؛ وقال عليه السلام من رضي من الله
بقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل ؛ وقال ايضا اذا
كان يوم القيمة انبت الله لطايفة من امتي اجنحة فيطيرون
من القبور الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاوا فتقول
لهم الملايكة هل رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا فيقولون
هل جزتم الصراط فيقولون ما راينا صراطا فيقول لهم هل رايتم جهنم
فيقولون ما راينا شيا فتقول الملايكة من انتم فيقولون من امة
محمد فيقولون نشدناكم حدثونا ما كان من اعمالكم في الدنيا فيقولو ن
خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضله ورحمته
فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه
ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملايكة يحق لكم هذا ؛ وقال

عليه السلام اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم
والاقلال، وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له
سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال عليه
السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني
حتى ارضى عنهم، ويشهد لهذا ما روي عن نبينا عليه السلام انه
قال من احب ان يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عنده
فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه، وفي اخبار
داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب
حلاوة مناجاتي من قلوبهم، يا داود ان محبتي اوليائي ان يكونوا
روحانيين لا يغتمون، وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب
دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان
رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه
قال فان رضاي في رضاك بقضائي، وفي مناجاة موسى عليه السلام
اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب
سالمني، قال واي خلقك انت ساخط عليه قال من يستخيرني
في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي، وقد روي ما هو اشد من
ذلك وهو ان الله تعالى قال انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على

من

بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي، ومثله
في الشدة قوله فيما حكى عنه نبينا عليه السلام قدرت المقادير
ودبرت التدبير واحكمت الصنع من رضي فله الرضى حتى يلقاني
ومن سخط فله السخط حتى يلقاني، وفي الخبر المشهور يقول
الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت
الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه
وويل ثم ويل ثم ويل لمن قال لم وكيف، وفي الاخبار السالفة
ان نبيا من الانبياء شكى الى الله الجوع والفقر والقمل عشر سنين
فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان
بدؤك في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا
سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا فتريد ان
اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون
ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي
لئن تلجلج في صدرك هذا مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة ه،
وروي ان ادم عليه السلام كان بعض ولده الصغار يصعدون
على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج
فيصعد الى راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض

لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده الكبار اما ترى ما يصنع
هذا بك فلو نصحته عن هذا فقال يا بني اني رايت ما لم تروا وعلمت
ما لم تعلموا فاني تحركت بحركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى
دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقا واخاف ان تحركت بحركة
اخرى فيصيبني ما لا اعلم. وقال انس بن مالك خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا
لشيء لم افعله الا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا
في شيء لم يكن ليته كان. وكان اذا خاصمني مخاصم من اهله يقول
دعوه لو قضي شيء لكان. يروى ان الله تعالى اوحى الى داود
يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك
ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما
اريد ٥ واما الاثار فقد قال ابن عباس اول من يدعى الى
الجنة الذين يحمدون الله على كل حال. وقال عمر بن عبد العزيز
ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر. وقيل له ما تشتهي قال ما يقضي
الله. وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء.
وقال الفضيل ان لم تصلح على تقدير الله تعالى لم تصلح على تقدير
نفسك. وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل خبز

الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في
الرضى عن الله عز وجل. وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة
احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء
كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان. ونظر رجل في قرحة
في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني
لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني. وروي في الاسرائيليات
ان عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فاري في المنام فلانة الراعية
رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا
فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال
اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف
غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصلة واحدة هي ان كنت
في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان
اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في ظل
فوضع العابد يده على راسه وقال هذه خصلة هذه والله خصلة
عظيمة يعجز العباد عنها. وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى
في السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه. وقال
ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر. وقال عمر

ما أبالي على أي شيء أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء. وقال الثوري يوماً عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت أما تستحيي من الله أن تسأله الرضى وأنت عنه غير راض فقال أستغفر الله. فقال جعفر بن محمد بن سليمن الضبعي فمتى يكون عن الله راضياً فقالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة. وكان الفضيل يقول إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى. وقال أحمد ابن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني إن الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من المولى أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فإن محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه. وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضى وحظهم من الرضى على قدر عيشهم من الله تعالى. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط.

بيان حقيقة الرضى وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر وأما الرضى فلا يتصور فإنما أتي من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم فلا يخفى أن الحب

يورث الرضى بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين أحدهما أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها. ومثالها الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الدم يستدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به وإن كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ الحجام والمزين وهو لا يشعر وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقاً بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما يتألم به أو يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فإن الحب أيضاً يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذلك يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور

البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا
جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه
فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع
ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت
عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا
يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا
يوجع ٥ واما الوجه الثاني وهو ان يحس به ويدرك ألمه
ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان
كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة
فانه يدرك ألم ذلك الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من
الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك
كل من سافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه
لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما
اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه ادخر له فوق
ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان
كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز
ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى

آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل
ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون
في نظمهم ونثرهم ولا معنى الا ملاحظة جمال الصورة المبصرة
بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون
بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة
قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال
فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا وترى الصغير كبيرا
والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا
الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا
منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا
يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله
مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث
النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين
واقوالهم فقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها
وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا
قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة
ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء لحبه حتى لو احب النار

احببت دخول النار، وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب
الف سوط في شرقيه بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت
له لم ضربت قال لاني عاشق قلت له ولم سكت قال لان معشوقي
كان بحذاي ينظر الي قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال
فزعق زعقه خر ميتا، وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل
الجنه الى الله عز وجل ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى
الله تعالى ثماني مايه سنه لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت
بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله
تاهت، وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى
مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته
في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي
يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا
قال فما رايت بعد ذلك نقمه بين عبد وبين ربه فانكرتها، وقال
ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعه اشهر لم يكن لهم غذاء
الا النظر الى وجه يوسف الصديق كانوا اذا جاعوا نظروا الى
وجهه فيشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القران
ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوه ايديهن لاشتهتارهن لملاحظة

جماله

جماله حتى ما احسسن بذلك، وقال سعيد بن احمد رايت بالبصره
في خان ابن عطا بن مسلم شابا وفي يديه مديه وهو ينادي باعلى صوته
والناس حوله وهو يقول شعر

يوم الفراق من القيمه اطول والموت من الم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بالمديه بطنه فخر ميتا فسالت عنه وعن امره فقيل لي انه
كان يهودي فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا، ويروي
ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله
على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو
يقول اللهم متعتني بهما ما شيت انت وسلبتني ما شيت انت
وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول، ويروي عن عبد الله بن عمر
انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد
خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام
فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في
ذلك فقال ابن عمر انما كنت حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا
به، وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك
يوقظهم للصلاه والحمار ينقلون عليه الما ويحمل لهم خباوهم والكلب

تحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال
عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذيب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا
عليه فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا
فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذ اوليك لما كان
عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكه وكانت الخيرة لهولاء في
هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف خفي لطف
الله رضي بفعله على كل حال ويروى ان عيسى عليه السلام مر
برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من
الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه
فقال له عيسى يا هذا اي شي من البلاء اراه مصروفا عنك فقال
يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من
معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن
الناس وجها وافضلهم هيئة فاذهب الله عنه ما كان به فصحبه
عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من
ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وايك
لين كنت اخذت لقد ابقيت ولين كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع
ورده تلك الليله وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى ما ابالي

ايتهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى ففيه البذل
وقال ابو سليمن الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضى فما
لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلايق كلهم الجنة وادخلني
النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضى عنه
فقال اما الغاية فلا ولكن مقام من الرضى قد نلته لو جعلني جسرا
على جهنم تعبر الخلايق علي الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا
من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيته من قسمه وهذا كلام
من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار وان
بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعار حصول رضى
محبوبه بالقايه اياه في النار واستيلا هذه الحالة على غير محال في
نفسه وان كان بعيدا من احوال الضعيفه ولكن لا ينبغي ان
يستنكر الضعيف احوال الاقويا ويظن ان ما هو عاجز عنه عجز
عنه الاوليا وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلا الدمشقي
قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه
ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح فاعرف
وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال ثم غشي عليه
وقد كان عمران بن حصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين

شنه لا يقوم ولا يقعد فثقب له في سرير من جريد كان عليه موضع
لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلا فجعل يبكي لما
يري من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك علي هذه الحالة
العظيمه قال لا تبك فان احب الاشياء الي الله احبه الي ثم
قال احدثك شيا لعل الله ان ينفعك به واكتم حتي اموت
ان الملايكه تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم
ان البلا ليس بعقوبه اذ هو سبب هذه النعم الجسيمه فمن
شاهد هذا في بلايه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا
علي سويد بن شعبه نعوده فراينا ثوبا ملقي فما ظننا ان تحته
شي حتي كشف فقالت له امراته اهلي فداوك ما نطعمك ما
نسقيك قال طالت الضجعه ودبرت الحراقف واصبحت
نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما وما
يسرني اني نقصت من هذا قلامه ظفر ولما قدم سعد بن ابي
وقاص الي مكه وكان قد كف بصره جاه الناس يهرعون
اليه كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان
مجاب الدعوه قال عبد الله بن السايب فاتيته وانا غلام فتعرفت
اليه فعرفني وقال انت قاري اهل مكه قلت نعم فذكر قصه

قال في آخرها فقلت له يا عمي انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك
فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضا الله عندي احسن من
بصري وضاع لبعض الصوفيه ولد صغير ثلاثه ايام لم يعرف له
خبر فقيل له لو سالت الله تعالي ان يرده عليك فقال اعتراضي
عليه فيما قضي اشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد
قال اذنبت ذنبا عظيما وانا ابكي عليه منذ ستين سنه وكان
قد اجتهد في العباده لاجل التوبه من ذلك الذنب فقيل له وما
هو قال قلت مره لشي كان ليته لم يكن وقال بعض السلف
لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من قول لشي قضاه الله لم يقضه
وقيل لعبد الواحد بن زيد ها هنا رجل قد تعبد خمسين سنه فقصده
فقال له حبيبي اخبرت عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست
به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه
الصوم والصلاه قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان
معاملتك خمسين سنه مدخوله ومعناه انه لم ينفتح لك باب
القلب فتترقي الي درجات القرب باعمال القلوب وانما انت بعد
في طبقه اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي
مزيد اهل العموم ودخل جماعه من الناس علي الشبلي في مارستان

قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا
محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم
ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلايي ، وللشبلي
، ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رايت محبا غير سكران ،
وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل ولعله
قد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل
يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب
مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلا زينة اهل الاخرة
وهم يستنكفون منه ، وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل
للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم
قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة
وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله على
فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضى بما يخالف الهوى
ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان
ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان في حق الله وحظوظ
الاخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضى بالالم لما يتوقع
من الثواب الموعود كالرضى بالفصد والحجامة وشرب الدوا انتظارا

ممكنا صح

للشفا ، والثاني الرضى به لا لحظ وراه بل لكونه مراد المحبوب ورضى
الله فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون
الذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو
في هلاك روحه كما قيل ، وما لجرح اذا ارضاكم الم ،
وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش
عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده
فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو
فرط حبه ومن لم يذق طعم فرط الحب لم يعرف عجايبه فللمحبين
عجايب اعظم مما وصفنا ، وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافعي
قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق
جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت

، علامة ذل الهوى على العاشقين البكا ،

، ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى ،

فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي افتاذنين لي ان اموت
فقالت مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه
وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت ، وقال الجنيد رايت رجلا
متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه

الصبي فقال الى متى ذا النفاق الذي تظهر فقال قد علم الله
اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت
صادقا فمت فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون
المحب في جيرتنا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية
فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر اذ قالت
الجارية آه فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك
ما في القدر بيده حتى تساقطت اصابعه فقالت الجارية ما هذا
قال هذا موضع قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الواحد البغدادي
قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو
يقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت
ثم رمى نفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق
به في حق المخلوق فالتصديق به في حب الخالق اولى لان البصيرة
الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية
اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم من حسنات ذلك
الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع
ينكر لذة الالحان الموزونة والذي فقد القلب لابد ان ينكر
هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب ٥

بيان ان الدعا غير مناقض للرضى

ولا يخرج
صاحبه عن مقام الرضى وكذلك كراهة المعاصي ومقت اهلها
ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لا يناقضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين
وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب
الرضى به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما
الدعا فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما نقلناه في كتاب الدعوات يدل عليه وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وساير الانبياء عليهم السلام في اعلى المقامات من
الرضى وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا
ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضى بها فقد
تعبد الله به عباده وذمهم على الرضى به فقال رضوا بالحياة الدنيا
واطمانوا بها وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله
على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه
قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود
ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك
قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله

آخر بالمغرب كان شريكه في قتله، وقد امر الله تعالى بالحسد والمنافسه
في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وقال النبي عليه السلام لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله تعالى حكمه
فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله تعالى مالا فسلطه
على هلكته في الحق، وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القران فهو
يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما اوتي
لفعلت مثل ما يفعل ٥ واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم
ومقتهم فقد ورد فيه من شواهد القران والاخبار ما لا يحصى مثل
قوله لا يتخذ المومنون الكافرين اوليآء من دون المومنين، وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا، وقال تعالى وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا، وفي الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على
كل مومن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل
مومن، وقال عليه السلام المرء مع من احب، وقال من احب قوما
ووالاهم حشر معهم يوم القيمه، وقال عليه السلام اوثق عرى
الايمان الحب في الله والبغض في الله، وشواهد هذا قد ذكرناه في
بيان الحب والبغض من كتاب آداب الصحبه، وفي كتاب الامر بالمعروف
فلا نعيده، فان قلت فقد وردت الاخبار والايات بالرضى بقضاء

الله فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو
قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها
ومقتها كراهه لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو
متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضى والكراهه
فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفا القاصرين عن الوقوف على
اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت عن المنكرات
مقاما من مقامات الرضى وسموه حسن خلق وهو جهل محض
بل نقول الرضى والكراهه يتضادان اذا تواردا على شي واحد
من جهة واحدة وجهة واحد وليس من التضاد في شي واحد ان يكره من وجه
ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض
اعدايك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو
عدوك وترضاه من حيث انه عدوك فكذلك المعصيه لها وجهان
وجه الى الله تعالى من حيث انه مخلوق الله وارادته فيرضى به
من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضى بما فعله
فيه، ووجه الى العبد من حيث كسبه ووصفه وعلامه كونه
ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط الله عليه اسباب
البعد فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف لك هذا

الامثال فلنفرض محبوبا قال بين يدي من يحب اني اريد ان
اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا
قاطعا وهواني اقصد الى انسان فاوذيه واضربه ضربا بضطره
ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي
وكل من احبه فاعلم ايضا انه عدوي وكل من ابغضه فاعلم انه
صديقي ففعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض
وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق
في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذا هذا
الشخص وضربه وابعاده وتعريضه اياه للبغض والعداوة فانا محب
له وراض به فانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما
شتمه اياك فهو عدوان من جهته اذ كان من حقه ان يصبر ولا
يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه
بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك
وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك
نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات مرادك
ولكن من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان
وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان يقتضي ان

يحتمل الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته
اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى
تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحب له لانه
مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب
ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا واما بغضه لك
فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن
نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث
انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وامقته لذلك فهو
ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته لك ايضا مكروه
من حيث انه وصفه وكل ذلك حيث انه مرادك فهو مرضي وانما
الناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه
مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده
بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا يناقض فيه ويشهد
لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظاير ذلك
لا تحصى فاذن تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى
تجره ذلك على حبه المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي
ضرب المحبوب للشخص الذي ضربنا به المثل ليجره الضرب الى الغضب

والغضب الي الشتم ومقت الله لمن عصاه ولن كانت معصيته
بتدبيره تشبه بعض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل
بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالي ذلك بكل عبد
من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل علي انه سبقت
مشيته بابعاده ومقته فواجب علي كل عبد يحب الله ان يبغض
من يبغض الله ويمقت من مقته الله ويعادي من ابعده عن حضرته
وان اضطره بقهره وقدرته الي معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود
ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده
اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون مقيتا بغيضا
الي جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب علي من اظهر
المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا ينقرر جميع ماوردت به
الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد علي الكفار
والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضي بقضاء الله تعالي
من حيث انه قضاء الله تعالي وهذا كله يستمد من سر القدر الذي
لا رخصة في افشايه وهو ان الخير والشر كلاهما داخلان
في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد
مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما
جميعا من الله من غير افتراق بالرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف

الغطا عنه غير ماذون فيه والاولي السكوت والتادب بادب
الشرع فقد قال صلي الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك
يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الان بيان الامكان فيما تعبد
به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالي ومقت المعاصي مع
انها من قضاء الله تعالي وقد ظهر الغرض من غير حاجة الي كشف السر
فيه وبهذا يعرف ايضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي
وساير الاسباب المعينة علي الدين غير مناقض الرضي بقضاء الله
تعالي فان الله تعالي تعبد العباد بالدعا ليستخرج بالدعاء منهم
صفا الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء
للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما
ان حمل الكوز وشرب الماء غير مناقض لقضاء الله تعالي في العطش
وشرب الماء طلبا لازالة العطش ومباشرة سبب مسبب الاسباب
فكذلك الدعاء سبب رتبه الله وامر به وقد ذكرنا ان التمسك
بالاسباب جريا علي سنة الله لا يناقض التوكل واستقصيناه في
كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضي لان الرضي مقام ملاصق
للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلا في معرض الشكوي وانكاره
بالقلب علي الله مناقض للرضي واظهار البلا علي سبيل الشكر والكشف

عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حشو
الرضى بقضاء الله تعالى ان لا يقول هذا يوم حار اي في معرض
الشكايه وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى
مناقض للرضى بكل حال وذم الاطعمه وعيبها مناقض للرضى بقضا
الله تعالى لان مذمة الصنعه مذمة الصانع والكل من صنع الله تعالى
وقول القايل الفقر بلا ومحنه والعيال هم وتعب والاحتراف كد
ومشقه كل ذلك قادح في الرضى بل ينبغي ان يسلم التدبير الى
المدبر والمملكه لمالكها ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي
اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ٥

بيان

ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في
الرضى اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي عن
الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء
الله تعالى وذلك محال بل العله في النهي عن مفارقه البلد بعد ظهور
الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه
المرضى مهملون لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا وكذلك شبهه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف

فلو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلد في الانصراف
وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرفت المعنى بحكمه
ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا عن القضا
بل من القضا الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع
التي تدعو الى المعاصي ليس فرارا عن القضا والاسباب التي تدعو
اليها لاجل التنفير عن المعصيه ليس مذموما فما زال السلف الصالحون
يعتادون ذلك حتى اتفق جماعه على ذم بغداد واظهارهم ذلك
وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت
بلدا شرا من بغداد قيل كيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله تعالى
ويستصغر فيه معصيه الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت
بغداد قال ما رايت فيها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قاريا
حيران ولا ينبغي ان يظن ذلك من الغيبه لانه لم يتعرض لشخص
بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وقصد بذلك تحذير الناس
وكان يخرج الى مكه وكان مقامه ببغداد ريثما تستعد القافله
ستة عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينارا
كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعه كعمر بن عبد العزيز وكعب
الاحبار وقال ابن عمر لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع

به بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض الله تعالى له قرينا
من البلا وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة
اعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير بعشرة اجزا
فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بعشرة اجزا
على العكس من ذلك وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل
ابن عياض فجاءه صوفي متدرعا بعباءة واجلسه الى جانبه واقبل عليه
ثم قال اين تسكن فقال ببغداد فاعرض عنه فقال ياتينا احدهم
في زي الرهبان فاذا سالناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان
بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان
يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان
احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هولاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا
البلد اثر في نفسي قيل فاين تسكن قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل
عن اهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان
من بلي ببلدة يكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام
بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون
راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها

قايلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك
لان الظلم اذا عم نزل البلا ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال الله
تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذن ليس
في شي من اسباب نقصان الدين البتة رضى مطلق الامن حيث اضافتها
الى فعل الله تعالى فاما هي في انفسها فلا وجه للرضى بحال وقد اختلف
العلماء في الافضل من اهل مقامات ثلاثة رجل يحب الموت شوقا الى
لقاء الله تعالى ورجل يحب البقا لخدمة المولى ورجل قال لا اختار
شيئا بل ارضى بما اختاره الله لي ورفعت هذه المسالة الى بعض العارفين
فقال صاحب الرضى افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم
وهيب بن الورد وسفين الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري
كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت اني اموت فقال يوسف
لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال لكني لا اكره طول البقا فقال
سفين لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقال لوهيب
ايش تقول انت قال انا لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله
تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة ه

بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم

قيل لبعض العارفين انك محب قال لست محبا انما انا محبوب

والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من
السبعه فقال كل السبعه وكان يقول اذا رايتموني فقد
رايتم اربعين بدلا قيل كيف وانت شخص واحد قال لاني
رايت اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه
وقيل له بلغنا انك تري الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس
العجب من يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب
منه ويحكى عن الخضر انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم
يبق ولي لله الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه
وقيل لابي يزيد البسطامي يوما حدثنا عن مشاهدتك من الله
فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا عن
رياضه نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الي الله فجمحت
علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنه ولا اذوق النوم سنه
فوفت لي بذلك ويحكى عن يحيى بن معاذ الرازي انه راي ابا يزيد
في بعض مشاهداته من بعد صلاه العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا
على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا
بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر
فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على

الماء

الماء والمشي في الهوى فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان
قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض ورضوا بذلك واني اعوذ بك
من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض ورضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك قال حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات
الاوليا ثم التفت فراني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي ثم قال منذ
متى انت ها هنا قلت منذ حين فقلت يا سيدي حدثني بشي فقال
احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في
الملكوت الاسفل واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني
في الفلك الاعلى فطوف بي السموات واراني ما فيها من الجنان الي
العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي رايت حتى اهبه
لك فقلت يا سيدي ما رايت شيا استحسنته فاسالك اياه فقال
انت عبدي حقا تعبدني صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشيا
قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي
لم لا سالته المعرفه به وقد قال لك ملك الملوك وجبار السموات
سلني ما شيت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت
عليه مني لا احب ان يعرفه سواه ويحكى ان ابا تراب النخشبي
كان معجبا ببعض المريدين وكان يدنيه ويقوم ببعض مصالحه

العلوي

والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له ابو تراب
يوما لو رايت ابا يزيد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد
رايت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي
ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله لو رايت ابا يزيد مرة
واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال
فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذلك قال لا
ويلك انما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى
ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال
احملني اليه فذكر قصة قال في اخرها فوقفنا على تل
ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة
فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى
هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه
فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي
نظره اليك قتلته قال لا ولكن كان صاحبك صادقا
واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رانا
انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مكان ضعفاء
المريدين فقتله ذلك ، ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس

ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت الله
تعالى دفعهم فسكت ثم قال لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا
على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة
واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم
ذكر من اجابة الله تعالى اشياء لا يستطاع ذكرها حتى
قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة
في نفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يمتنع عن التصديق
والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عميم وعجايب
الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها ٥
وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ، ولذلك كان
ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى
وخلة ابرهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا
مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلا مثلهم
ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل ، وقال بعض
العارفين كوشفت باربعين حوراء رايتهن يتساعين
في الهوى عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش
ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ، ثم

كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال
وقال لي انظر اليهن فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا
انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل
اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي
ان ينكرها المومن لا فلاسه عن مثلها فلو لم يكن كل واحد
الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال
الايمان عليه بل هذه الاحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات
ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس
وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة
ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول
فهذه اوايل سلوكهم واقل مقاماتهم وهو اعز موجود في الانقياد
من الناس وبعد تصفية القلب عن كدرة الالتفات الى الخلق
يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك
دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر انكشا
ف
الصورة في الحديدة اذا اسكلت ونقيت وصقلت بصورة المراة
نظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه
الصدا والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر امكان

انكشاف المرأي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك في غاية
الجهل والضلال وهذا حكم من انكر كرامات الاوليا اذ لا
مستند له الا قصوره وقصور من راه وبيس المستند ذلك
في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم روايح المكاشفة
من سلك شيا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي
شي نلت هذه المنزلة فقال كنت كاتما الله حالي معناه
اسال الله ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه راى الخضر عليه السلام
فقال ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال
وسترها عليك فقيل معناه وسترها عن الخلق وقيل يسترها
عنك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم انه قال اقلقني
الشوق الى الخضر فسالت الله مرة ان يريني اياه ليعلمني شيا كان
اهم الاشيا علي قال فرايته فما غلب همي ولا همني الا ان قلت له
يا ابا العباس علمني شيا اذا قلته حجبت على قلوب الخليقة فلم
يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال
قل اللهم اسبل علي سترك وحط على سرادقات حجبك واجعلني
في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خلقك قال ثم غاب ولم اشتق
اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي

كيف ؟

انه صار بحيث يستذل ويمتهن حتى ان اهل الذمة يسخرون
به ويستنتجونه في الطرق لحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم
وكان الصبيان يولعون به وكانت راحته ووجود قلبه واستقامة
حاله في ذله وخموله فهكذا حال اولياء الله ففي امثال هؤلاء
ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة
وفي المشهورين بين الخلق بالورع والعلم والرياسة وغيرة الله
على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال اوليائي تحت قبائي لا يعرفهم
غيري وقال عليه السلام رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه
به لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام
هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة
بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة
ذل النفس استشعارا اذا اذل واهتضم لم يحس بالذل كما
لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل
ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس
منزلة من ان يرى جميع انواع الذل بل يرى نفسه دون
ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة لذاته فمثل هذا القلب
يرجى له ان يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا

القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان
ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله فليكن محبا لاولياء
الله مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان
عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب
فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى
المريدون للولاية في طلبها شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة
والخسة حتى روي ان ابن الكريني وهو استاذ الجنيد دعاه
رجل ثلاث مرات الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع
اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فقال قد رضيت
نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب تطرد
فتنطرد ثم تدعى فيرمي له عظم ولو رددتني خمسين مرة
ثم دعوتني بعد ذلك لاجبته وعنه ايضا انه قال نزلت
في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعدت
على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت
وجعلت امشي قليلا قليلا حتى رأوا اذيال الثياب من تحت مرقعتي
فلحقوني فنزعوا مرقعتي فاخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني
ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا

كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق
ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله
تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله
تعالى حجاب بعد وحايل حايل فانما بعد القلوب شغلها بغيره
او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس بها ولذلك ان شا هدا
عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق ابي يزيد
فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلاثين سنه اصوم الدهر
ولا افطر واقوم الليل ولا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم
الذي يذكر شيا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد
ولو صمت ثلثمايه سنه وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذره
قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دوا قال نعم
قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعلم
قال اذهب الساعه الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع
هذا اللباس واتزر بعباه وعلق في عنقك مخلاه مملوء جوزا
واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعه اعطيته
جوزه وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود وعند
من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي

مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف
قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال
هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدي بهذا قبل
كل شي فقال لا اطيقه قال قد قلت انك لا تقبل فهذا
الذي ذكره ابو يزيد هو دوا من اعتل بنظره الى نفسه ومرض
بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دوا سوى هذا وامثاله
فمن لا يطيق فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفا في حق من داوى نفسه
بعد المرض بهذا الدوا اولم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل درجات
الصحه الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر ايضا وهذه
امور جليه من الشرع واضحه وهي مع ذلك مستبعده عند من
يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال عليه السلام لا يستكمل العبد
الايمان حتى يكون قلة الشي عنده احب اليه من كثرته وحتى
يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال عليه السلام
ثلاث من كن فيه استكمل فيه ايمانه لا يخاف في الله لومه لايم
ولا يرائي بشي من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا
والاخر للاخره اثر امر الاخره على امر الدنيا وقال عليه السلام
لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم

يخرجه غضبه من الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل
واذا قدر لم يتناول ما ليس له، وفي حديث آخر ثلث من اوتيهن
فقد اوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى
والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها
عليه السلام لاول الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف
في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله
ان يجد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عليه عظيمة وراء
الايمان، وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما
اتخذ الخليل من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يوثر
علي شيا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وقعا وان قطع
بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الى ان يبلغه الحب الى
هذا فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل
ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان
وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له، ولذلك قال عليه السلام
للصديق ان الله قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي
واعطاني مثل ايمان كل من آمن به من ولد ادم، وفي حديث آخر
ان لله تعالى ثلثماية خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنه

فقال ابو بكر رضي الله عنه هل فيّ خلق منها قال كلها فيك يا
ابا بكر واحبها الى الله تعالى السخاء، وقال عليه السلام رايت
ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفه ووضعت امتي في كفه
فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفه وجيء بامتي فوضعت في كفه
فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالله بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا
من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله
يعني نفسه ٥ خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة ينتفع بها ٥
قال سفين المحبة اتباع الرسول، وقال غيره دوام الذكر
وقال غيره ايثار المحبوب، وقال غيره كراهة البقاء في الدنيا وهذا
كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها ٥
وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب
عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته، وقال الجنيد حرم الله المحبة
على صاحب العلاقة، وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض
زالت المحبة، وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل
لغير الله، وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف
ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك ٥ وقال الشبلي

يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت
اموت اذا ذكرتك ثم احيي ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيي بالمنى واموت شوقا فكم احيي عليك وكم اموت
شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله في نصب عيني فان قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه، وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي، وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطاير نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات، وقال ابرهيم انك تعلم ان الجنة ما تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وانستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك، وقال السري من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش، والاحمق يغدو

ويروح في لاش، وقيل لرابعة كيف حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين، وسيل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال الرضى عن الله والحب له، وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة وانما يحب من مولاه مولاه، وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم، وقيل المحبة ان تمحوا اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شي راجع منك اليك، وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح، وقال الخواص المحبة تمحو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات، وسيل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه، وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحيا والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لانهما بين المنزلتين يبقيان مع اهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما، وقال هرم بن حيان المومن اذا عرف ربه احبه فاذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو يحبسه في الدنيا ويروحه في الاخرة، وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها

جاريه والله لقد سئمت من الحيوه حتى لو وجدت الموت يباع
لاشتريته شوقا الى الله وحبا للقايه قال فقلت لها فعلى ثقه انت
من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني
وانا احبه، واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا
شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في
المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي، يا داود احوج ما
يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر
عني واجل ما يكون العبد قدرا اذا رجع الي، وقال ابو خالد الصفار
لقي نبيا من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر
لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجا ونحن
نعمل على المحبه والشوق، وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود
يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا
خاصه للمحبين، واوحى الله تعالى الى آدم يا آدم من احب حبيبا صدق
قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في سيره،
وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني
ولا اراه، وقال الجنيد بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى

انحنى وصلى حتى اقعد فقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك
بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك، وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفه راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقه كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي
واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعه حسبي والجهاد خلقي وقرة
عيني في الصلاه، وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا
مجنده فارواح العارفين جلاليه قدسيه فلذلك اشتاقوا الى الله
تعالى وارواح المومنين روحانيه ولذلك حنوا الى الجنه وارواح
الغافلين هوائيه فلذلك مالوا الى الدنيا، وقال بعض العارفين رايت
في جبل اكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر
وهو يقول الشوق والهوى صيراني كما ترى، ويقال الشوق نار الله
تعالى اشعلها في قلوب اوليايه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر
والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبه
والانس والشوق والرضى فلنقتصر عليه وبالله التوفيق ○

تم كتاب المحبه بعون الله تعالى وحسن توفيقه، ويليه كتاب النيه والاخلاص ○